جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء صحيح البخاري نموذجاً (عرض وتحليل)

إعداد

د. صفاء علي عبد الغني أحمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية البنات الإسلامية جامعة الأزهر بأسيوط

(العدد الواحد والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠ أكتوبر)
(الجزء الرابع (١٤٤٤هـ /٢٠٢٢م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٢/٦٢٧١م

السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء صحيح البخاري نموذجاً(عرض وتحليل)

صفاء علي عبد الغني

قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.

البريد الالكتروني: Safaahmed1625. el@azhar. edu. eg

ملخص البحث :

تهدف الدراسة إلى إبراز إسهامات العطاء البلاغي العربي الأصيل من خلال السنة النبوية بتأكيد توافق التراكيب العربية الأصيلة مع المناهج النقدية الحديثة توافقًا مباشرًا، وأصالة تأثيرها ومدلولاتها التركيبية وتجددها بتجدد الأفكار والمناهج النقدية. وقد انتهجت في دراستي تلك المنهج السيميائي التحليلي البلاغي مزجًا بين الأصيل والمستحدث ، مستعينة بأصيل متون الحديث وشروحه ،و بالمعاجم والمصادر الأصيلة في استنباط المعاني الدفينة وراء التراكيب ، وإلقاء الضوء على رمزية البنية النحوية والتركيبية والصوتية والدلالية في أسلوب القصر بالنفي والاستثناء. وقد جاءت الدراسة في أربعة مباحث : يسبقها تمهيد. –السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق المعاني الغيبية.– السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق المعاني القلبية.– السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق المعرفة العلمية وأسبابها.– السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق الأحكام الفقهية وكيفيتها. ومن أهم نتائج الدراسة : –صلاحية النصوص العربية القديمة لكل المناهج الحديثة عند التطبيق التحليلي البلاغي النقدي . –أصالة البلاغة النبوية في الرمزية السيميائية تركيبًا ودلالة وسياقًا عند التعبير بالقصر بالنفي والاستثناء.

الكلمات الافتتاحية: السيميائية ، القصر ، النفي، الاستثناء، صحيح البخاري .

Semiotics and the rhetorical structure of the minor in negation and exception in Sahih Al-Bukhari as a model (presentation and analysis)

Safaa Ali Abdul Ghani

Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic Girls, Al-Azhar University, Assiut, Egypt.

Email : Safaahmed1625. el@azhar. edu. eg

Abstract

The study aims to highlight the contributions of authentic Arabic rhetorical giving through the Prophetic Sunnah by confirming the direct connection of authentic Arabic structures with modern critical curricula, the originality of their impact and their structural implications, and their renewal with the renewal of critical ideas and approaches . In my study, I followed the semiotic, analytic, rhetorical approach, a mixture of what is original and the newly invented, using the original texts of hadith and its explanations, dictionaries and authentic sources in deriving the hidden meanings behind the structures, and shedding light on the symbolism of the grammatical, structural, phonetic and semantic structure in the restriction (limitation) style using negation and exception The study came in four sections: preceded by an introduction : Preface entitled: Features of semiotics and its genesis . -The first topic: the semiotics of the rhetorical structure of the Prophet's limitation (restriction) style using negation and exception in the unseen meanings

-The second topic: The semiotics of the rhetorical structure of the Prophet's limitation using negation and exception in feelings behind meanings The third topic : semiotics and the rhetorical structure of the "limitation" using negation and exception in knowledge and its causes The fourth topic: semiotics and the rhetorical structure of minors using negation and exception in islamic jurisprudence and it is eloquence Among the most important results of the study : The validity of ancient Arabic texts for all modern approaches when applying critical rhetorical analysis . The authenticity of prophetic rhetoric in semiotic symbolism in structure, significance and context when expressing the limitation using negation and exception.

Keywords: *Semiotics, Palace, Negation, Exception, Sahih Al-Bukhari*

بِسْمِ اللّـهِ الرّحْمَـٰنِ الرّحِيمِ

الحمـد لله خـالق الأكـوان، مصـور الإنسـان ،مبشـر المتقـين بالجنـان ،وصـلاة وسلاما دائمين على سيد الأنام محمد بن عبدالله صلاة تثقل الميزان ،وترضي الحنان المنان.

وبعـــد

فإن السنة النبوية منهل تربى عليه المسلمون ،وما زال يغترف من فيضه طلاب العلم في شتى المجالات العلمية- على كثرتها- ولما كنت من منتسبي الأزهر العريق فلابد من اتصالي بالسنة النبوية ،ورغبة مني في توكيد توافق المناهج النقدية الحديثة مع البلاغة العربية القديمة وأنهما متكاملان في جانب من الجوانب ، وخاصة بعد أن شاع في عصرنا من ينادي بكل ما هو جديد ،وطرح القديم في مجمله بعلة القصور أو العجز ،وقد ظهرت مناهج الأسلوبية و التداولية والبنيوية والتفكيكية والتأويلية والسيميائية في النقد العربي الحديث تقليدًا للغرب ، وتشبهًا به ،ولما كانت هذه المناهج موروثًا بعضها عن بعض وقائمًا بعضها على بعض ،فلا البنيوية ولا النفسية ولا السيميائية ولا الأسلوبية نفسها تستطيع أن تزعم إحداهن أنها ناشئة من عدم ،فاللسانيات قامت على جهود النحاة وفقهاء اللغة وحتى المعجميين، كما أن الأسلوبية قامت على أسس البلاغة بفروعها الثلاثة، و حتى السيميائية تجسيد لمساع ذهنية كانت تتردد على ألسنة البلاغيين ، فلم أجد بدًّا من دراستها ، رغبة في فهمها فهمًا يمكنني من الإلمام بها ضمن ما يستجد على الساحة النقدية ، وخاصة بعد ظهور مؤلفات عدة في سيميائية القرآن مثل : سيميائية إيقاع القرآن وفواصله رسالة في إعجاز المستوى الصوتي، تومان غازي الخفاجي ،والنقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (دراسة سيميائية محمد سالم سعد الله ،عالم الكتب الحديث يناير ٢٠١٣م)، وغيرهما كثير، مما دفعني لدراسة السيميائية النقدية بعدما لم أجد –بعد كتاب الله– أبلغ وأفصح من كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – لأطبق عليه جوانب التركيب

السيميائية الحديثة تطبيقًا يدفع اختصاص الغرب بابتداع هذه المناهج، وعنايتي بالسيميائية ليست من جهة إيثارها ومباركتها وتقديمها على بلاغتنا العربية الأصيلة ؛فهي كانت وما زالت وستظل الرافد الأصيل للبلاغيين العرب مهما استحدثوا ،وليس أدل على ذلك من وجودها في التركيب البلاغي النبوي الشريف. وإنما الهدف من هذه الدراسة إبراز إسهامات العطاء البلاغي العربي الأصيل في هذا المجال ،لتوكيد أن المعاصرين للنقد الحديث إنما يتناسون –من واقع الاغتراب – عطاء اللغة العربية قديمًا وإمداداتها الثرية على مدار العقود للحركة النقدية.

فهذا هو كلام رسولنا الكريم يدفع بتراكيبه وبناء جمله ما يدَّعون حداثته ،وما يتهمون به البلاغة العربية الأصيلة من قصور فيه وعجز ، من هنا بحثت هذا الجانب وطلبته ؛ ولعل في هذا لفتًا لأنظار الدارسين يُمَكِننا من إعادة قراءة التراث بكل جوانبه فنعيد اكتشاف ذاتنا اللغوية والنقدية والثقافية والحضارية من خلاله.

وقد ثبت أيضًا عبر دراسات عدة أن أبا تمام اتسم شعره بوفرة الاحتمالات واختلاف وجهات النظر ،وترك الفراغات الفنية التي يسبح فيها الخيال ،وكيف جعل من شعره لوحات سيميائية ومسرحيات مصورة بالألفاظ والسياقات والدلالات الرمزية التي قد يتفق معها بعضهم ،ويختلف معها الآخرون، فإذا كان هذا هو الحال مع تركيب شعري لعربي فما بالنا مع التركيب الخاص بالبلاغة النبوية.

ومن هنا كانت هذه الدراسة والتي تمثلت في تمهيد يعقبه أربعة مباحث:

تمهيد وعنوانه : معالم السيميائية ونشأتها.

- السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق المعاني الغيبية.
- السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق المعاني القلبية.
- السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق المعرفة العلمية وأسبابها.
- السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق الأحكام الفقهية وكيفيتها.

تمهيد

معالـم السيميائيـة ونشـأتـها

في العصر الحديث ظهرت المناهج النقدية فكانت المناهج النقدية السياقية ثم النسقية، فالنقد السياقي ممارسة نقدية تقارب النص الإبداعي معتمدة في ذلك المؤثرات الخارجية (سواء كانت تاريخية أم نفسية أم أسطورية أم اجتماعية)...وإذا كانت القراءة السياقية يممت وجهها شطر الخارج فإن القراءة النسقية توكل لنفسها مهمة الغوص في عالم مغلق تقر بوجوده واستقلاله وإفساح المجال أمام القارئ ليقول مالم يقله النص في بنيته السطحية، ولما كانت السيميائية النقدية تصورًا للأشكال والظواهر ناتجًا عن تطور جملة المفاهيم فيبحث في النص عن الدوال الشكلية ،فالناقد يضاعف المعاني ويجعل منها لغة ثانية تطفو فوق اللغة الأولى للنص أي إنه ينتج تلاحما للعلامات والدلالات[١].

فالسيميائية نهج تحليلي لتفسير الحقائق وتحليل الحوادث المتعلقة بالمجتمعات والثقافات ،لذلك من الممكن تعريف النهج على أنه فن دلالة العلامات التي ينتهجها الناس، ونظرية السيميائية تمكن لتحليل كل من العلامات اللغوية وغير اللغوية بما في ذلك المفاهيم الضمنية [٢].وهي تدريب على التقاط الضمني والمتواري.

فالسيميائية إحدى علوم اللغة التي تدرس الإشارات أو العلامات اللغوية أو التصويرية في النصوص، وهي منهج يعنى بدراسة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية

---

[١] سيميائية الألوان في القرآن : كريم شلال الخفاجي ،دار المتقين ،ط أولى ٢٠١٢م بيروت ، صـ١٣.

[٢] المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق : طالب أحمد ، دار الغرب للنشر ٢٠٠٥م، صـ١٠.

،ويحيلنا إلى معرفة هذه الدلائل وعلتها وكينونتها ومجمل القوانين التي تحكمها.[١] ومجال عملها هو اللغة النظام دون اللغة الأداء ،وهو ما جعلها ممارسة استقرائية استنتاجية تنطلق في تحليلها من اعتبار النص يحتوي على بنية ظاهرة وبنية عميقة يجب تحليلها، وبيان ما بينها من علائق ،وتقوم على إطلاق الإشارات كدوال حرة ،لا تقيدها حدود المعاني المعجمية ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية تعتمد على الطاقة التخييلية للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي ويصير القارئ المدرب هو صانع النص.[٢]

ولدى تطبيقها على النص لا تتوقف عن تفكيك بنيته، وكشف مدلولاته، وسبر أعماقه في إطار جديد، وإعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى.

وظهرت في الغرب على يد دي سوسير في فرنسا تحت مصطلح *simiology* وعلى يد بيرس في الولايات المتحدة تحت مصطلح *simiotics* كل على حدة في وقتين متقاربين ١٩٩٦م ولكن يبدو أن أصل الكلمة عربي ،وأنهما قد أخذا المصطلح عن اللغة العربية ونسبه كل منهما لنفسه، ومما يدل على ذلك أن هناك توافقا كبيرًا بين اللفظ الوارد في القرآن الكريم ومعاجم اللغة العربية وبين اللفظ الأجنبي، مع أن ظهور اللفظ العربي سابق على اللفظ الأجنبي بمئات السنين تقريبًا ، كما أن المعنى واحد تقريبًا للفظين العربي والأجنبي، فعندما يقول الله تعالى ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[٣] فإنه يعني وجود علامات تدل على كثرة السجود بالرغم من أننا لا

---

[١] معالم السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها : عبد القادر فهيم الشيباني ٢٠٠٥م ، صـ١٨.

[٢] نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : د/ حسين خمري، الدار العربية للعلوم ، ٢٠١٦م، صـ١٢.

[٣] سورة الفتح آية (٢٩٢).

نراهم وهم يكثرون السجود، وقال جل شأنه ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾[١]وعليه فقد ورد لفظ السيمياء في القرآن بمعنى العلامة ،سواء كانت متصلة بملامح الوجه أو الهيئة أو الأفعال والأخلاق ،وفي معاجم اللغة هي العلامة ، أو الرمز الدال على معنى مقصود، لربط تواصل ما ،فهي إرسالية إشارية للتخاطب بين جهتين أو أكثر، وقد يجيء السيمياء ممدودًا كما في قول أسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عميله حين قاسمه ماله :

غلام رماه الله بالحسن يافعًا * له سيمياء لا تشق على البصر**[٢]

كأن الثريا علقت فوق نحره * وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمر**

ويراد بالسيمياء في البيت السابق أن يفرح من ينظر إليه [٣] أي كناية عن مسرة الرؤية و الاستبشار به.

ويشير ابن منظور إلى أن اللفظة مشتقة من جذر(و.س.م)ومنها الوسم وهو أثر الكي والجمع وسوم، والموسوم ما وسم بسمة يعرف بها ...وكذلك الوشم [٤]. ويستخلص من التحديد اللغوي ومن مختلف المشتقات أنها تدور حول معنى جامع هو إحداث علامة تصبح صفة طارئة أو دائمة في غيرها. وحسب مدلول الجذر اللغوي للكلمة فهي يقصد بها علم العلامات والأنظمة الدالة.

وإذا كانت السيميائية تعنى بالعلامات فاللغة العربية في جوهرها معنية بالعلامات بل ومبنية عليها، فما علامات الترقيم إلا رموز لمعان مكنونة في ضمير

---

[١] سورة البقرة آية(٢٧٣).

[٢] تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزبيدي ، تح/ إبراهيم الترزي ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت ،١٩٨٤م، ، ج١٦/صـ٣٧٢.

[٣] القاموس المحيط مادة (سوم).

[٤] لسان العرب مادة (وسم).

المتكلم يود إيصالها بإيجاز ، من حذف أو تعليل أو اقتباس ، وما الفصل البلاغي إلا علامة خطابية عن التوكيد أو سؤال مضمر أو لدفع وهم و لبس متوقع، وكذا التعريف والتنكير علامة في نفسه لمعنى آخر من تعظيم أو تحقير أو عموم أو تخصيص ، بل إن الأساليب الإنشائية علامات رمزية لمعان ضمنية تفهم من قرائن السياق ،وهكذا سائر ضروب البلاغة علامات رمزية لمعان خفية ، "وتشكل الاستعارة ميدانا للعلامة،لأن اللغة فيها مجازية، ومن هنا تحتاج اللغة المجازية أن ينظر إليها من منظور سيميائي يبحث فيما تخفي من دلالات عميقة "[1] ومعنى ذلك أن الاستعارة تعد أداة لتطوير المفاهيم ، ووسيلة لخلق واقع . ولما كانت الرمزية هي عماد السيميائية ،وما الرمزية في جانب من جوانبها إلا أحد أنواع الكناية البيانية المبنية في كثير من مواضعها على التركيب والدلالة بحثت هذا الجانب؛ لأوضح عبره أن الأسلوب العربي منذ بداياته قد فطن إلى قيمة العلامة ،من حيث هي حقيقة حسية تعود وتحيل إلى حقيقة مجردة غائبة ، و ها هو عبد القاهر الجرجاني منذ مئات السنين يشيد نظرية النظم والتي في جوهرها علامات لغوية إشارية لمكنونات دلالية نفسية، فالعبرة عنده بالمعالجة أو الاستعمال للوصول إلى معنى المعنى ، ويُقصد بالتحليل السيميائي للنص دراسته من جميع جوانبه دراسة تغوص في أعماقه ،وتستكشف مدلولاته المحتملة، مع محاولة ربط النص بالواقع ،وما يمكن الاستفادة وأخذ العبرة منه. والتحليل السيميائي يركز على جانبين :

١- الرمزية والدلالات. ٢- ربط النص بالواقع.

والتحليل السيميائي يختلف من شخص لآخر ومن منطقة لأخرى، وهو بذلك مجال خصب للإبداع، فلا قيود عليه إلا أن تكون هناك دلائل في التحليل المقترح

[1] السيمياء والاستعارة مقاربة سيميائية في تحليل النصوص : د/ يوسف عبد الفتاح ، مجلة سيميائيات الجزائر، صـ١٦.

على صحة ما ذهب إليه من قام بعملية التحليل. والسيميائية منهج يطرح أطرًا دراسية تتعامل وفقها مع النصوص ، فهو ينتقل من الحاضر إلى الغائب، للنفاذ إلى عمق النص،،وذلك باتخاذ السمات الشكلية كمؤشرات للتأويل ، فالعنوان مثلا هو تجميع مكثف لدلالات النص، وتأتي المقاطع تقليبًا للعنوان في صور مختلفة، فالكلمة المحور تتحول إلى الجملة؛ ليتناسل النص عبر تشكلات ليمر على الجملة الرابطة، وتتلاقى هذه الآليات جميعها في الجملة الهدف، فالناقد السيميائي للنص الأدبي يلجأ إلى عدة آليات إجرائية فنية جمالية مرتبة كالآتي:

١- بنية العنوان : الفاتحة النصية، الخاتمة النصية.

٢-البنية الصوتية. ٣-البنية التركيبية. ٤-البنية الصرفية. ٥-البنية الدلالية. ٦-البنية الموسيقية[١] .

ومهما يكن شكل التناول ما هي إلا آليات اجتهادية ورؤية حداثية للنص. وهذه الآليات فطن لها علماؤنا منذ معرفتهم بالتدوين قديمًا وحتى عصرنا الحديث ،فليست بدعًا حتى ينسبها المتشدقون إلى الغرب. ولذلك كانت الأصوات اللغوية أدوات تعبير عن ظواهر عديدة تلتقي فيها اللغات ، وقد ربط علماء العرب قديمًا بين هذه المعطيات وبين ما أسموه علم أسرار الحروف أي علم السيمياء ، وقد تعددت في ذلك دراسات الحاتمي وابن خلدون والجرجاني والقرطاجني [٢].

---

[١] السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها : سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر، سورية ،ط ثالثة٢٠١٢م،ص١٧.

[٢] سيميائية الألوان صـ١٣.

المبحث الأول :

السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق المعاني الغيبية.

وأول ما جاء في صحيح البخاري من القصر بالنفي والاستثناء كان في سياق الحديث عن نزول الوحي على الرسول –صلى الله عليه وسلم–

١– حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حوحدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم..... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، **لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ** ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا...)[١]

إن النبي حين نزل عليه جبريل – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام– لأول مرة وهو بالغار كان يجهل ما هو مقدم عليه من أمر الرسالة وتوابعها ،فلما أخبره ورقة بن نوفل بمسألة الإخراج من مكة – وهذا مما تأباه نفسه الشريفة العاشقة لموطنها – فكان الاستفهام الإنكاري حوارًا داخليًا ورفضًا قلبيًا ثم إستنكارا معلنًا للمخاطب : أو مخرجي هم؟ يحمل في طياته التفجع والتألم ،بدلالة حرف الواو في أول الكلمة ؛فقد كان يمكن أن يقال (أمخرجي هم) ، لكن للواو دلالة نفسية خاصة من

[١]) صحيح البخاري حديث رقم (٣) باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول.

حيث كانت الجملة تحمل في مدلولها الرمزي قوة الألم والتفجع من وقوعه، إذ كيف يكون ؟ ، ولذا كان الجواب قطعيًا بـ(نعم)وإيجازًا ؛ لضيق الوقت وعظم الحدث ، وتخفيفًا وتمهيدًا لما سيقع ، وسيميائية الوزن الصرفي لاسم الفاعل (مخرجي) لإرادة حدوث الوصف في الاستقبال وكأنه قد تم وثبت وصفًا[1] لقومه، وهي رمزية ثبوت الحدث قبل وقوعه ممن لا يتوقع منهم ، أي هل سيقومون بإخراجي؟ وهنا كأن ورقة بن نوفل قد استشف سؤالا داخليًا من النبي ، رمزية إشارية إلى فطنة ورقة وخبرته الاجتماعية واللغوية وتوقعاته النفسية لآثار الكلام الواقع في نفس الرسول و مؤداه : ولِمَ يخرجونني من مكة وأنا منهم وبهم، معهود صدقي ونسبي فيهم ؟ فكان الفصل البلاغي بالجواب الشافي في الجملة التالية (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي) فالخطوة الأولى من السيميائية هنا ظهرت في صوتية أداة الاستثناء واهتزاز الصوت معها ، فلا تلقاك هذه الأداة إلا حيث النبرة العالية والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد ؛[2] وكأنها بنغمتها الصوتية حد فاصل بين حالين ؛حال ما قبل الأداة وهي حال مضت، وحال ما بعدها وهي حال تستقبل ، لأن هناك متلقيًا (الرسول) يجادل في هذه الحقيقة؛ إذ كيف يكون مرسلًا من عند الله بالقيم والمبادئ السامية التي تطلبها البشرية وتعيش بها وتدعو لها ، ثم ينتج عن هذه الرسالة الجليلة الرفض المجتمعي والقَبَلِي لها ولحاملها، فلا شك هذه حقيقة غريبة من شأن النفوس أن تتوقف في قبولها، فأكد ورقة بن نوفل كلامه بأسلوب القصر علامة دالة على خفايا المضامين ،ورمزًا واضحًا إلى قوة المعاناة التي يتكبدها الأنبياء دائمًا مع أقوامهم من التعنت وإكبار الكفر على ما سواه من عقل وفكر. ؛ لما للمفاجئة من تأثير ، فقوله (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به) يوحي عند تعلق الذهن بمضمونه فكرة نفي الإتيان بمثل ما جاء فيتوطن في نفسه الانفراد وغرابة الشأن ، وعليه يترتب العداء ،

---

[1]) معاني الأبنية في العربية: د/ فاضل السامرائي، دار عمار ط ثانية ،٢٠٠٧م، صـ٤٥.

[2]) دلالات التراكيب : د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، ط خامسة ، بدون ،صـ١٣١.

ثم تتواصل الصوتية السيمائية بحرف العين الحلقي المجهور ،فاهتزاز الوترين الصوتيين وتذبذبهما حال النطق بحرف العين في جملة (إلا عودي) ليكون بمثابة رمزية جهرية لبداية الدعوة والتي شأنها متجذر وقديم منذ بداية البشرية ؛وأنها ليست بدعًا ، وعند قلب حروف الكلمة تصبح (عودة) فيكون ما بعد (إلا) توكيدًا لتتجدد الدعوة وما يستتبعها ، ثم كانت الخطوة الثانية من السيميائية في التعبير به دلالة ورمزًا اجتماعيًا سائرًا على مدار الزمان والمكان حين أصبح الإكراه بالخروج علامة اجتماعية (النفي خارج البلاد، فقد كان وما زال حتى يومنا هذا وسيلة بشرية في تعذيب أصحاب القيم والمبادئ)ورمزًا لعدم قبول التغيير السريع؛ حتى وإن كان مطلبًا ملحًا، حين تسود الأنانية الأمم وقت المعاداة المتوقعة والفجور المستقبلي للخصومة، وهو ما كان بمثابة توطئة وتهيئة نفسية ووجدانية لما سوف يقع للرسول من أحداث جسام، وتذكيرًا بالطبيعة البشرية الغالبة في جميع الأزمان والأماكن، وتلك هي الخطوة الثالثة من السيميائية (الرمز إلى صعوبة المشوار النبوي ومعاناة الأنبياء جميعا) .

وعند استعراض سيميائية الجملة دلاليًا وتركيبيًا يلحظ بناء جملة النفي على الفعل المضارع (لم يأت رجل قط) فلم يقل (ما أتى) لأن النفي بـ(ما) يكون في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال ،وأما (لم) فليست مقيدة بزمن من أزمنة المضي .[1] وهي بذلك رمزية تناسب فترات النبوة السابقة على نبوة نبينا غير المعلومة عند المتكلم(ورقة بن نوفل) حتى هذه اللحظة التي يقع فيها الحوار، رمزية إلى مقدار علمه البشري، والتعبير بكلمة (رجل) هنا دون كلمة(نبي) أو (رسول)علامة رمزية من المتكلم إلى المخاطب ؛ لاستدعاء مضمون الثبات النفسي

[1]) معاني النحو : فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر ج٤/ ١٩٣، ط١، ١٤٢٠/٢٠٠٠م.

والرجولة وفكرة الصمود والمواجهة في المتلقي العربي ،استثارة للعقل ،وتوطينًا للمضمون.

واستمرارًا لاستغراق الماضي أردف ورقة جملته بكلمة(قط) بعد النفي توكيدًا وجزمًا للفعل المنفي قبلها مبالغة من جهة القطع والتعيين الخبري. والبنية الصرفية للكلمة هنا لاستغراق الماضي وتختص بالنفي فيما مضى وانقطع ، ومن مضامينها القطع عرضًا والرفع والنحت ، وهي رمزية سيميائية في قطع الزمن على الفعل المنفي وكأنها تقول : اقطع رجاءك في قومك بيقين المعلوم عن السابقين، ثم تتواصل سيميائية الدلالة والرمز في جملة(بمثل ما جئت به) صورة جماعية ذهنية لنفي انفراد الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة إشعارًا بالمشاركة ، وتوطينًا للكناية بالمساواة والمشابهة في رد الفعل من المخاطبين بالدعوة ، وآثر التعبير (المجيء) على الإتيان لأن المجيء صعب ؛لما فيه من تبعة وتحمل وعزيمة على طاعة وتنفيذ لأوامر الله المرسِل ، وما في الهجرة من مشقة الانتقال وتحمل الأذى [1]، وكأن الترادف الواقع ما بين استعمال (الإتيان) في جانب عموم الرسل ، واستعمال (المجيء) في جانب الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم– رمزية إلى الاشتراك في الأصل (الإتيان) والاختلاف في رسالة الرسول العالمية التي تتجدد بتجدد الزمن ويتجدد معها المعاداة ،مما يرمز إلى خصوصية صعوبة في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإيثار المعاداة على فعل الإخراج حيث قال (عُودِي) ولم يقل (أُخرج) على طريقة المجاز المرسل للتنبيه إلى السبب والتركيز عليه في الحوار، علاقته السببية بذكر السبب وإرادة المسبب ؛لأن المعاداة هي الدافع والمحرك الرئيس في الإجبار على الخروج. وحتى يثبت ويستقر ويتوطن هذا في وجدان النبي منذ البداية فتهدأ نفسه ويطمئن قلبه بأن مكمن الإخراج ليس لعيب ذاتي فيه وإنما لسبب خارج عن إرادته. وتمثل جملة

[1]) الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن : د/ محمود موسى حمدان ،مكتبة وهبة ،ط أولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، صـ٢٣.

القصر بالنفي والاستثناء قمة الإيجاز البلاغي تمثيلاً لضيق الوقت الواقع في أثناء الحديث ،وتمثيلًا لضيق الزمن على ورقة الذي بلغ من الكبر عتيًا.

وفي بناء الفعل للمفعول (عودي) ولم يقل (عاداه قومه أو الناس أو أهل الكتاب) عدم تخصيص الفاعل ، ليحتمل الفعل عددًا غير معلوم ، وزمنًا غير محدود، وتحقيرًا للفاعل بإهمال ذكره وشأنه لأن الله سوف يعصمه منهم جميعًا ، فلا حاجة له في معرفتهم في هذه المرحلة المبكرة من الدعوة ،إذ يفتضح أمرهم حسب الأحوال والمواقف والزمان والمكان .

ولو قصر ورقة بن نوفل كلامه بـ(إنما) بديلًا عن النفي والاستثناء ، فقال : إنما عودي من جاء بمثل ما جئت به، لأظهر التركيب البديل علم الرسول بالخبر وعدم عمله بمقتضى علمه (جزعه وخوفه من عداوة قومه) ،بل ربما يفهم منه التعريض بالرسول وأنه ما كان ينبغي أن يقع منه جزع أو خوف في مثل موقفه هذا، وفي ذلك جفاء تعبير وجفاء تقدير للموقف الإنساني، والواقع الجسدي والنفسي الحاصل للرسول عند نزول الوحي ، وهذا كله مما لم يكن بحال من الأحوال ؛ لذا كان القصر بالنفي والاستثناء لازم تعبير ومدول. وهكذا كان التركيب الدلالي سيميائية رمزية لمكنونات داخلية يقرأها خبير اللغة ليصل من خلالها إلى مرام حوارية ،لم يكن ليتمكن منها إلا بالرمز سواء في المضمون الفردي للكلمة أو السياق الدلالي لمجمل المعنى كله .

٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ مَا شَأْنُ النَّاسِ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ قُلْتُ آيَةٌ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ **(مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي** حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ)[1]

جاء القصر بالنفي والاستثناء في جملة(ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي...) في سياق الحديث عن كسوف الشمس وقد فزع الناس فزعًا عظيمًا، حتى خرج الرسول يخشى أن تقوم الساعة، فأمر فنودي لصلاة الكسوف تعليمًا للمسلمين، وإجلالًا للحدث القائم، وتوكيدًا لكونه علامة على قدرة الله تعالى يخوف بها عباده ، ثم أتبع الصلاة بالحديث عما أوتي الرسول من علم غيبي متمثل وشاخص في رؤية الجنة والنار، وجملة القصر هنا جاءت كمقدمة وتوطئة لخبر مجهول، إذ لم يكن يعلم المسلمون وقتئذ بما يترتب على كسوف الشمس من أهوال جسام وتوقعات حسام ؛ فاقتضى السياق التوضيح والتوكيد بالنفي والاستثناء لإزالة أي شك أو تردد من نفوس المتلقين للخبر تركيبًا دلاليًا اجتماعيًا ، يرمز إلى مدى احتياج المخاطبين إلى معلم مربٍ يبصرهم بواطن الأمور في دينهم ودنياهم؛ ومدى ارتباط كل منهما بالآخر حتى يتم التفاعل والتأثير النفسي المطلوب للقبول بالمخبر عنه، متى استقر الإيمان بقدرة الله على جميع المخلوقات، وحتى يتمكن المتلقي من استيعاب مضمون الجملة بعد الاستثناء، فكان القصر بالنفي والاستثناء سيميائية تصويرية بدت في الإشارة اللفظية(ما من شيء لم أكن أريته) إنها رمزية التبعية والانقياد لله ،والتخلي عن فكرة الذاتية في نسبة الرؤية إلى بشرية المتكلم ، وإنما بنسبتها إلى الفاعل الحقيقي ببناء الفعل للمفعول (أريته) والفاعل معلوم تمامًا وذكره يعد من فضول الكلام، وإشعار بثقة المتكلم في معتقد المخاطبين الإيماني بالله وحسهم الديني، ولما يلزم من تعظيمه سرًا وجهرًا ، ولبيان أن قدرة الرسول مستمدة من الله القدير، وكأن الأنبياء جميعًا يلتقون في هذا ؛ فينطق الرسول بالحق كما نطق أخوه في النبوة موسى عليه السلام حين قال

[1]) صحيح البخاري رقم (٨٦) باب تحريض النبي وفد قيس على أن يحفظوا الأيمان.

في القرآن ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [1] أي مكني من النظر إليك، كأنه يعلم أنه بطبيعة تكوينه لا يمكن أن يرى الله وأنه غير معد لاستقبال رؤية الله،[2]، ولذا قال (أُرِيتُه) ولم يقل (علمته)لأن الرؤية لا تكون إلا لموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم ... وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم محدود[3]، وهذه دقة نبوية حوارية حتى يستقر المضمون في المتلقين للخبر، بأنها رؤية بصرية وليست علمية مما يؤكد الاختلاف المحقق للرسول عن سائر الناس، وفي هذا رمزية الضعف البشري وإحالة المنح إلى قوة أكبر، وعليه اقتضى بناء التركيب على الزيادة(زيادة النفي بالحرف(ما) ثم زيادة (من) الجارة التبعيضية)،إذ كان يمكن أن يقول : لم يكن شيء أريته، ولكن لمناسبة زيادة الممنوح تطلب السياق زيادة التركيب؛ فكما أن رؤية الرسول للغيبيات زيادة تكوينية تزيد عن قدرات الآخرين البشرية كذلك التركيب فيه زيادة مبنى لزيادة المعنى ؛ألا وهو الاعتراف بفضل الله وقدرته في كل المخلوقات والكائنات ثم الاعتراف بالتفضيل الإلهي لشخصه الكريم، وكأنه قال قدراتي البشرية لا تسمح ؛ لكن جلت قدرة الله لتسمح بما لا قدرة لي عليه، فلا تنسبوا لي عملًا .ولذا استغل الرسول هنا التضاد بالإيجاب والسلب(رأيته ، لم أكن أريته) ؛ لإبراز المفارقة التامة بين الحالين ؛حتى يستجلي المتلقي الحدث بأبعاده العكسية، ويصل بالعقل والفكر إلى تباين الحال؛ فيحدث له الاقتناع والقبول.

وقد جاءت بعدها(إلا) جرسًا تنبيهيًا وقرعًا للسمع قبل الذهن حتى يستوعب ما سيأتي من إخبار وجمل ، وحتى يؤكد تحقق وجود الجنة والنار فقال : إلا رأيته في

---

[1]) سورة الأعراف آية (١٤٣).

[2]) تفسير الشعراوي (الخواطر) : محمد متولي الشعراوي مطابع أخبار اليوم عام ١٩٩٧م، ج ٤٣٤٢/٧.

[3]) الفروق في اللغة : صـ٨٦.

مقامي، رمزية كنائية عن كشف الحجب عنه، بالنص على كلمة (مقام) هنا احتراسًا من أن يفهم أنه رآهما في مقام آخر غير الذي كان فيه الحدث، ولذا أيضًا كانت رمزية إيثار اسم المكان (مقام) هنا رمزية وصفية للمكان ، أي مكان قيامي ووقوفي وجلوسي ؛لإزالة وهم احتمالية كونه في مقام آخر أو كونه في الرؤيا المنامية مما يمكن أن تُحدِّث به النفس الضعيفة ،أو النفس المعارضة، وهذا بالتبعية يرمز إلى إقرار السامعين بكشف الحجب للنبي واختلاف تكوينه البشري.

ولو استبدل القصر بالنفي والاستثناء عوضًا بـ(إنما) فيقال : إنما أريته في مقامي ، لأصبح الأمر معلومًا بتنزيل المجهول منزلة المعلوم، تعريضًا بعلم السامعين وإنكارهم للمخبر به من اختلاف تكوينه البشري وكشف الحجب عنه، وحاشا للصحابة أن يقع منهم ذلك ،وبل وتنزه الرسول في حواره أن يلوي الخطاب مع أحبابه بهذه الصورة ، من التعريض بالتشكيك في يقينهم وصدقهم الإيماني.

٤-حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ ذَكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ **مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ** فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاثْنَتَيْنِ فَقَالَ وَاثْنَتَيْنِ...)[1].

ورد القصر بالنفي والاستثناء في سياق إعلام نساء المسلمين بأمر غيبي ؛لبيان فضل الصبر عند مصيبة الموت ، والثواب المنتظر بعده ، عندما خصص الرسول يومًا لتعليم النساء أمور دينهن ودنياهن ،ولما كانت النساء يغلب عليهن العاطفة آثرت بلاغة الرسول تحريكها والدخول منها للمخاطبات اللاتي يطلبن العلم ؛ بجعلها سببًا في دخولهن الجنة عند الصبر والاحتساب لله بمصيبة فَقْدِ الأبناء خاصة ، فخاطبهن

[1]) صحيح البخاري رقم (١٠١): باب هل يجعل للنساء يوم على حدة للعلم .

بما يناسبهن ، فكان هذا الخبر المجهول عند المخاطبات حتى إعلامهن به، ولذا اقتضى السياق التوكيد بالنفي والاستثناء للحسم في سياق الألم المستلزم للحزن، والبشارة المستلزمة للفرح ، وكلاهما مضاد للآخر دلالة رمزية اجتماعية، رمزية إلى تتابع مسببات الحزن وقوتها في نفس الأم المكلومة بل وملازمتها لها فترة حياتها، والدال على شدة المصيبة وأثرها ، واجتماعية في نقص أفراد الأسرة ونقص المعونة العددية التي كانت تعتمد عليها الأسرة العربية كفرد والقبيلة كمجتمع أولي للمجتمعات الإسلامية. والقصر هنا حقيقي ادعائي، لأنه يوجد عدد من الأعمال الأخرى تحجب النار عن عاملها، مبالغة في تسلية المرأة المسلمة التي فقدت أبناءها في بداية الجهاد والغزوات، وتعظيمًا وإجلالًا للدور الاجتماعي والديني المنوطة به في الأمة كفرد وكمربية للأجيال المتواترة .

وبالوقوف عند سيميائية التركيب والتصوير ودلالاته يلحظ رمزية كلمة(منكن) في موضعها من الجملة حيث لم يقل : ما امرأة تقدم ، وفي خصوصيتها بالتقديم على كلمة(امرأة) للقصر أيضًا ؛ حتى لا يتوهم أن الخبر يعم جميع النسوة مسلمات كن أم غير مسلمات، فيخصص التقديم الخبر للمخاطبات المسلمات، إذن مزية الخبر في خصوصيته ، وإيثار الوزن الصرفي في الفعل(تقدم ثلاثة من ولدها)للمبالغة والكثرة في مضمون مادة الفعل ،فضلًا عما في معناها المعجمي؛ ولذا أوثرت دون كلمة (يموت) أو (يقتل) أو (تفقد) أو يهلك، لما في (تقدم) من مضامين التقرب والهبة والشجاعة والرضا والرفع والعرض والقوة والثبات[1] وكلها مضامين مقصودة لذاتها هنا في مجمل معنى الكلمة، تعبر عن رمزية السمات الأخلاقية والدينية التي تحملها المرأة المؤمنة وتستحضرها بل وتستمدها من تعاليم دينها، فهي تستمد جودها بالنفس والمال من الدين، فضلًا عن سيميائية التصوير بالاستعارة التصريحية ؛حيث استعار التقديم

[1]) المعجم الوسيط مادة(قدَّم).

للموت بجامع نزع الملكية والفقد ،وكأن الأم حين ترضى بقضاء الله في أبنائها قدمتهم قربانًا وعطية لله عن رضا وشجاعة ومحبة، وكأنهم سبقوها إلى الجنة حتى يهيئوا لها حسن الاستقبال فيها. إنها سيميائية الصورة في إيصال هذا المعنى للمخاطبات بلفظة واحدة تحمل معاني عدة وصورًا شتى ورمزية إلى اللحاق بمن قدمت.

وتأتي الدقة الحوارية النبوية في تحديد العدد بثلاث، دلالة على الكثرة والتعدد وليس لتخصيص العدد بكم معين ؛ بدلالة التعقيب الوارد في ختام الحديث بسؤال إحداهن حين سألت بأسلوب خبري بمعنى الإنشاء(واثنين) لبيان مقدار المتوقع النفسي للسائلة من احتمالية التصديق على المضمون ،وما يعتريها من رغبة في تصديق المضمون المثار في السؤال ، وحتى يأتي الجواب المتوقع لها بالصيغة نفسها: واثنين .

وتستكمل السيميائية دلالتها الرمزية التركيبية بشبه الجملة الإطنابية بالتقييد في قوله (من ولدها) تكميلًا واحتراسًا حتى لا يتوهم أنهم من الأشقاء أو غيرهم من الأقرباء، فأقوى عاطفة للمرأة تتعلق بالأبناء، ورمزية التعلق الجسدية بهم لكونهم مولودين منها، لذا لم يقل من أبنائها ،إشارة إلى رمزية الولادة التكوينية والالتصاق الرحمي والجسمي قبل العاطفي والأسري، ورمزية أيضًا إلى تقدير الإسلام لهذه الخصوصية وهذه العلاقة المتأصلة، بل وفي إفراد كلمة (ولدها) هنا رمزية التلاحم والارتباط الجسمي التكويني والبيئي ، وكأنهم بمجموعهم فرد واحد، مما يؤكد أثر عمق المصاب على المجموع الكلي عليها وعلى أسرتها.

وتلوح في الأفق بعد كل ما سبق (إلا) بجرسها الاهتزازي للسمع قبل العقل لإزالة أي تردد في الخبر حين يدرك العقل مضمون جملة التصوير السيميائي : (كان لها حجابًا من النار) بأسلوب تشبيهي (التشبيه البليغ) حيث يجسم الأبناء المفقودين سترًا حاجزًا لأمهاتهم عن النار، ووجه الشبه المنع التام والحيلولة، ويعد هذا رمزًا اجتماعيًا فكما تحتجب المرأة بلباسها الظاهر في الدنيا عن غير المحارم تحتجب بصبرها

الباطن ورضاها اليقيني عن النار يوم القيامة. ولذا تؤثر لفظة (الحجاب) دون (الستر) في دلالتها السيميائية هنا ؛ لأن الحجاب هو المانع والممنوع به ،والستر هو المستور به، وإنما يقال حجبه إذا قصد منعه ...والستر لا يمنع من الدخول على المستور، والحجاب يمنع [1].

وكأن الكلمة ترمز إلى المنع حتى عن الرؤية للنار والتي هي في حد ذاتها عذاب أليم، إذن هي تعني الشمول، فهم مانع من عذابي النفس والجسم.

ويتفق مع مضمون هذا الحديث لكن بطريقة البعد الحجاجي الحواري ببناء الحوار على الاستنتاج الذاتي للمتلقي بطريقة الاستفهام التوجيهي والإرشادي ما جاء في حديث الرسول عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله (ما تعدون الرَّقوب فيكم؟ قال قلنا : الذي لا يولد له، قال ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئًا...) حيث يطرح الخطاب النبوي قضية تتعلق باللفظ وكيفية استخدامه أو لتصويب استخدامه لدى المخاطب ، فالرقوب : يقال للمرأة التي لا يعيش لها ولد، فهي ترقب موت ولدها، ويطلق على الرجل والمرأة . إذن صوب الرسول مفهومًا شائعًا غير متوافق مع الدين، وحوله إلى فضيلة شرعية لمن يحتسب موت ولده عند الله فيكتب له ثواب صبره على مصيبته[2].. وهنا يبدو الخطاب موجهًا إلى الرجال وليس النساء كما في الأول، حثًا ودفعًا إلى المشاركة في إعلاء كلمة الدين على العاطفة الإنسانية ،وفيه ضم للرجل في الثواب الموعود به في صحيح البخاري ، فكلاهما أصل للمجتمع والدين ،وبنية بشرية اجتماعية ،تطلب الدعم بما جاء في الحديثين كل في موضع زمنه ولقائه مما يصب في النهاية لمصلحة جنس المؤمنين سواء كانوا رجالًا أم نساء.

---

[1]) الفروق في اللغة صـ ٢٨٢.

[2]) صحيح مسلم بشرح النووي : مؤسسة قرطبة ط ثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج١٦/ ١٦١.

٥- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ **فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ** إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ...[١]

ورد القصر بالنفي والاستثناء في سياق يتحدث فيه عن الغنائم وعدالة الرسول في توزيعها على المسلمين، وبيان مقدار زهده فيها حين قال (انثروه في المسجد) ، وحرصه الأول والأخير على الصلاة، عماد الدين ، وعدالة الرسول أمر معلوم للمعاصرين للحدث لكن هنا نزلت منزلة المجهول لما كان من العباس –عم الرسول– من طلب المال والتذكير بمواقفه السابقة من فداء نفسه عند أسره في غزوة بدر – وقد كان حينها مشركًا– وفداء عقيل بن أبي طالب وكان هو أيضًا قد أسر يوم بدر مع عمه العباس،[٢] ، وكأن العباس بذلك الموقف المطالب فيه بالغنيمة والإعلان به لم يتحقق في ذهنه الخبر ، وقد جهل بذلك أمرًا جلا ، فبمجرد الشروع في الكلام يدرك بعدها برد الفعل النبوي كم كانت عدالة الرسول واضحة وظاهرة للجميع ،لكن حرص النبي على تجنيب آله من المحاباة أو التمييز بمنع عطائهم قبل تصريحهم ، جعل الأمر وكأنه مجهول ، والقصر هنا حقيقي تحقيقي، لمطابقته الواقع المحكي عنه قولًا وفعلًا، وفيه رمزية العدالة الاجتماعية من الحاكم ، ومراقبة الأموال بتوزيعها بنفسه خوفًا من الفوضى والاختلاس أو المحاباة ،وتحقيقًا للمساواة وتحمل المسؤولية.

---

[١]) صحيح البخاري رقم (٤٢١) في كتاب الصلاة باب القسمة .

[٢]) عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري: بد الدين العيني ، دار الكتب العلمية ،٢٠٠٦م ، ج٤/ ١٦٠.

وباستعراض البنى الدلالية للتركيب نقف على سيميائية الجملة في قوله (فما كان يرى أحدًا) والتعبير بالرؤية رمزية للحضور الجسمي والمشاهدة البصرية بآلة العين ، لأن الرؤية لا تكون إلا لموجود ... وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود[١] ورمزية إلى تمكن الرسول من المعرفة الشخصية للآخذ من الغنائم والتحقق من شخصيته وللتأكد من وصول العطاء إلى مستحقيه، بدلالة ذكر كلمة (كان) في تركيب الجملة فقد كان يمكن أن يقول (فما يرى أحدًا) ولكن وجودها في النص رمزية بنيوية؛ لإفادة معنى الثبوت والوجود والضبط، ويأتي العموم المعنوي واللفظي في كلمة (أحد) رمزية للشيوع والكثرة والتعدد ، ورمزية إلى نفي المحاباة أو التمييز، ثم يأتي الاستثناء بـ(إلا) جرسًا لتنبيه الغافل ، وصوتًا عاليًا في إسكات معارض، أو مشاكس ، رمزية للتوقف الزمني للحدث على ما بعدها ، فتأتي جملة (أعطاه) حدثًا عظيمًا بعد الاستثناء وإيجازًا أسلوبيًا في التركيب ، وبإيثار الفعل الماضي في الإعطاء حيث لم يقل (يعطيه) الدال على التجدد ، والتجدد هنا يتنافى مع البعد الزمني للغنيمة ،فمدة دوامها حتى نفادها، فكان التعبير بالماضي أنسب للفعل والحدث؛ لأن الفعل الماضي رمزية إلى تحقق العطاء ووقوعه من الرسول بمجرد رؤية الداخل للمسجد، وكأن العطاء قد تحقق قبل الرؤية تمكينًا للحدث وسرعته الزمنية، بل وفي إيثار الإعطاء على الهبة أو المنح ،"" لأنه اتصال الشيء إلى الآخذ له ...ثم كثر استعمال الإعطاء حتى صار لا يطلق إلا على التمليك""[٢] وحرية التصرف فيه، إذن الجملة كناية عن حسن التقديم مع حسن التمليك ، حتى تصبح هذه الجملة تهيئة جدلية وخطابية لمن يتعالى على الناس أو يتهاون في الحقوق المالية.

---

[١]) الفروق في اللغة صـ ٨٦.

[٢]) الفروق في اللغة صـ ١٦١.

وفي التعبير بالتركيب الموجز (أعطاه) ولم يقل : أعطى منه، أو أعطاه عطاءه، رمزية إلى كثرة العطاء حتى بلوغ الرضا النفسي والبشري لكل من أخذ،وخصوصية كل عطاء لصاحبه المنوط به. ورمزية إلى سرعة الاتصال والوصول؛ اتصال الفعل بمفعوله وكأن البنية النحوية هنا بنية معنوية للملازمة والالتصاق.

ولو استبدل القصر بالنفي والاستثناء فقيل : إنما أعطى من يرى، لأذن هذا التبديل في التعبير بزوال العموم المفهوم من النفي الصريح في مقابله ، ولأصبح الخبر في مضمونه معلومًا لم يعمل فيه بمقتضى العلم السابق ، ووجود بعض الناس المستحقين للعطاء الذين لم ينالوا عطاءهم لعدم رؤيتهم ، بل وفيها تعريض بالتجاهل وعدم الحرص من التحقق، وهذا كله لم يقع في الواقع الفعلي بحال من الأحوال، فلزم النفي والاستثناء أسلوبًا سيميائيًا دلالات مقصودة.

٦-حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُطَهَّرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغِفَارِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ **وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**...[1]

ورد القصر بالنفي والاستثناء هنا في جملة(ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)حيث قصر صفة الغلبة في النقاش والحوار على موصوف هو الدين لكل من وقعت منه مشادة كلامية أو مشاحنة حادة ، وغلبة الدين الإسلامي للمتحاورين والمناظرين له أمر معلوم لا يجهله المؤمن ؛ولكن لما كانت النفس البشرية تعتريها الوساوس والأفكار والقضايا الشائكة في بعض المسائل الدينية على مدار الزمان والمكان ، نزلت في الخطاب منزلة من يجهل المعلوم لما لم تعمل بمقتضى المعلوم لديها بهذا اليقين الراسخ في وجدانها من غلبة الدين لما سواه، بإبداء الضعف أو الخوف عند وقوع

[1]) صحيح البخاري رقم (٣٩) باب الصلاة من الإيمان.

أسباب المعارضة أو المشادة أو التساؤل ،فجاءت سيميائية القصر بالنفي والاستثناء لغة حاسمة منذ البداية حتى يستقر المضمون في العقل ،وبالتالي يستتبع هذه الغلبة استلزام النصرة والتأييد والسداد من الله.

فكان القصر بالنفي والاستثناء سيميائية تصويرية بدت في الإشارة اللفظية(المقصور: المشادة من جانب الخصوم ،و(المقصور عليه: غلبة الدين) وهي تصوير للواقع الديني مع أصحاب الاعتقادات الأخرى ؛ حتى يعايش المسلم هذه الصورة ويستحضرها من واقعه الحياتي في أثناء المشادات البشرية المتجددة في أسبابها وأشكالها المختلفة، وتجلت السيميائية التصويرية في الاستعارة التمثيلية للمتحاورين في صورة خصومة حادة وعنيفة تقع فجأة بين اثنين (الدين وخصومه) حتى يعيش الخيال مع هذه الصورة ويتحرك فيها تبعًا لمعهوده الذهني الاجتماعي ، ثم زوال هذه الخصومة بعد فترة وجيزة بانتصار أحدهما على خصمه؛ دلالتها الرمزية الاجتماعية هنا إلى(الحوار الفكري الشائك) وأن الإسلام يشجع أفراده على التحاور مع الآخر مهما كان المحاور ومتى لزمت المحاورة ، وهذه الاستعارة مستدعاة من الموروث العربي الذي اعتاد الجدال حتى في الأدب وفنونه ، ثم تجلت الرمزية في القصر هنا بتحقق أسباب النصر ومقوماته في أسس ودعائم الدين ،ومتى استقرت تلك الرمزية في نفس المؤمن لن يقف بجوارها أي قوة للخصوم. وفي القصر هنا رمزية علمية (تصدير المختصين المهيئين علميًا وخطابيًا ودينيًا لمشهد الحوار) كما يجب أن تتوفر في ممثل الدين الإسلامي المعرفة الاستنباطية الكافية والمعلومات الأكيدة وقوة الجدال وحجة الردود ، والقصر هنا بالنسبة للواقع قصر حقيقي تحقيقي، وبالنسبة للمخاطب قصر إفراد وفيه رمزية عقدية تجلت فيها الرمزية الدينية والاجتماعية في توكيد الانتصار لجانب الدين الحق.

وعند استعراض بنية القصر نقف عند رمزية التركيب للفظة(لن) وإيثارها على ما سواها (ما، لا، لم، ليس) لما في (لن) من دلالة التأبيد في الحال والاستقبال، وإن اختلف النحويون في دلالتها على التأبيد[١]، وأرى أن السياق هنا مما يؤيد دلالة التأبيد، بل ويعززه حقيقة مستمرة استمرار البشرية على وجه الأرض، ولمناسبته الفعل المضارع (يشاد) ومضمونه من التجدد والتكرار، وفيه دلالة زمنية تشير إلى رمزية أبدية وقوع الخصومة مع أبدية الغلبة الإسلامية، وبناء الفعل فيه أيضًا دلالة صرفية للمبالغة إلى قوة المشادة من الخصوم مما يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو استعملت أخرى، وإيثار المعجم الدلالي (المشادة) على غيرها من الجدال أو التحاور، لما في الفعل من مضامين البناء والإحكام والعلو ورفع الصوت[٢]، وفيها رمزية المكر والتدبير في هذه المشادات والتخطيط المحكم ،رمزية إلى التآمر والاستعداد بالأدوات والحيل.

وفي تعريف لفظة(الدين) بأل العهدية رمزية يراد بها الدين الإسلامي، فهي أخص وألصق بالمتكلم والمستمع ومن هنا يأتي جمالها[٣] في استثارة الحمية الدينية في نفسيهما وتوكيد توحيد الهدف الداخلي بينهما، وما يستتبعه ذلك من توحيد خارجي بظهور الوحدة. وفي تقديم المفعول(الدين)على الفاعل(أحد) رمزية التخصيص لرد اعتقاد الشركة[٤]، أي لن يشاد أحد الدين الإسلامي خاصة إلا غلبه، وبذلك تتضافر صور القصر وتتابع واحدة تلو أخرى في بنية التركيب ؛ لتوكيد ثبات الدين. وفي إيثار التعبير (الغلبة) دون (الانتصار) أو(القهر) رمزية دلالية بأن الغلبة تكون

---

[١]) ينظر: الجنى الداني ، صـ٢٧٠.

[٢]) لسان العرب مادة (شدد).

[٣]) بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان ، منشأة المعارف ،صـ٩٥.

[٤]) الإيضاح مع البغية : ج١/ صـ٢٠٨.

بفضل القدرة وبفضل العلم ...ولا يكون القهر إلا بفضل القدرة ، [١] ولما في الغلبة من مضامين التفوق والتأثير والتقدم على الغير والحيلولة والاستسلام[٢] بالإضافة إلى كل ما سبق من الظفر والقهر والنصر ، إذن الكلمة مقصودة الدلالة . وذكر المفعول به ضميرًا متصلًا (غلبه) ولم يقل (غلب) بالحذف والعموم؛ لتوكيد المخصوص بالغلبة، ورمزية واضحة إلى سرعة الفعل ووقوعه على المفعول وقوعًا قريبًا ومتصلًا بالحدث نفسه.

ولولم يكن القصر بالنفي والاستثناء هنا ضرورة لجاز استعمال (إنما) فيقال : إنما يغلب الدين من يشاده ، وحينئذ تتبدل لغة الحوار الحاسمة إلى لغة لينة هادئة فيها مجرد التعريض بالمشادة وكيف تقع ؛ مما يجرئ السفهاء على الدين ، بل ويجعل الغلبة فقط للمشادين فيه دون سواهم ،فينتفي العموم الواقع بالنفي ، وبالطبع كل ذلك لم يرد وينتفي من الأساس بإيثار النفي والاستثناء في هذا الموضع رمزية خطابية إلى قوة الدين وداعميه في كل أسس الحجاج والدلائل سواء كانت جدالية أو تأصيلية.

---

[١]) الفروق : صـ٩٨.

[٢]) المعجم الوسيط مادة (غلب).

المبحث الثاني:

السيميائيــة والتركيــب البــلاغــي للقصــر بالنفــي والاســتثناء فــي ســياق المعانــي القلــبية

١- عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ﴿ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا **سِوَاهُمَا** **وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**....﴾[١]

وفي رواية (وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ)ورد القصر بالنفي والاستثناء هنا في باب حلاوة الإيمان في جملة (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) في مقام إخلاص المودة بين المسلمين وتوحيد القلوب المؤمنة ورسم طرق تآلفها وترابطها حتى يبنى المجتمع المسلم بناء صحيحًا ظاهريًا وباطنياً. واستعمال حرف النفي(لا)هنا في جملة(لا يحبه) له دلالته في تخليص الفعل المضارع بعدها للاستقبال كما قيل[٢]. وفيه رمزية ذهنية للمخاطبين من استحباب المداومة في المحبة لله في مستقبل الزمن، وكأنه عهد مع الله يجب الإيفاء به طوال مدة حياة المؤمن.

وجاء القصر بالنفي والاستثناء في مقام الجهل بالخبر ، حيث يشيع بين الناس إظهار المحبة للمجاملة والتودد لأغراض بشرية مادية ومجتمعية ونفسية ، وهذا معلوم، لكنهم يجهلون إعلاء الإسلام لقيمة المحبة الإنسانية على مدار تتابع الأجيال والقرون – لقرب عهد الناس به–والرغبة من إفراغها من شوائب الرغائب الأخرى سواء

---

١) صحيح البخاري حديث رقم (١٦) باب حلاوة الإيمان.

٢) ينظر:الجنى الداني في حروف المعاني : للحسن بن قاسم المرادي، تح/ فجر الدين قباوه ، محمد نديم ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٩٩٢م،١٤١٢هـ، صـ٢٩٦.

المادية أو الاجتماعية، فجاء القصر هنا نبرة عالية وحاسمة في إبعاد أي شائبة رجاء أخرى تقلل من قيمة المطلوب وأثره، وهذه لغة حوارية تطلبها طبيعة المرحلة التي تستهدف تأصيل دعائم الدين في النفوس ،وانتزاع الموروث الجاهلي القديم(حمية الجاهلية).

فكان القصر بالنفي والاستثناء سيمائية في الإشارة اللفظية من وجوب الاستجابة السريعة للمطلوب من المخاطبين دون تردد؛ لردع وإبعاد أي رغبة أخرى تجاورها أو تشاركها ، ثم الدلالة الاجتماعية إلى جوهر الدين الإسلامي وهدفه الرئيس من تابعيه؛ ألا وهو إرساء أسباب الترابط الإنساني بين أفراد المجتمع المسلم متى وُجِد إلى ذلك سبيل، ثم ما يستدعيه ذلك من نبذ أسباب البغضاء والشحناء والفرقة عن أفراده متى كان التطبيق العملي للمحبة بالصورة المنصوص عليها في الحديث الشريف . بل ظهر جليًا الإشارة لما ينتج عن إخلاص المحبة من أثر في الدنيا (شيوع السلامة المجتمعية والسلامة النفسية والقلبية)، ومن أثر في الآخرة(تحقق الثواب العظيم بإخلاص العمل) من حيث ما كان لله وحده فالعبد مأجور بقيمته وبمقدار عطاء الله سبحانه وتعالى عليه ، وهذا تحفيز وتشجيع ؛لأنه يجمع الحسنيين والحافزين للعبد المؤمن ، وربما تكون هنا أيضًا إشارة إلى تعدد أحوال المتلقين للخبر في نوعية المطالب (ما بين طالب للدنيا وطالب للآخرة) فيخاطب كلًا منهما حسب دوافعه وتطلعاته.

وهكذا وقع القصر بالنفي والاستثناء موقعًا لا يصح فيه غيره لما فيه من رمزية الخطاب الحماسي العالي النبرة القوي التأثير في وجدان المتلقي، ولو جاز لنا في غير كلام الرسول– صلى الله عليه وسلم– استبدال النفي والاستثناء هنا بـ(إنما) فنقول في حواراتنا الإنسانية: إنما يحب المرء لله، لفاتت دلالات عدة : **أولها** فوات تكرار كلمة المحبة وما فيه من تقرير للمعنى المراد بالنص عليها مرتين، **وثانيها** فوات

التصريح بالنفي المستغرق لكل أسباب المحبة الأخرى، **وثالثها** يقع بـ(إنما) التعريض بأي محبة أخرى ، وكأنها عيب مرفوض ومنهي عنه ،ولما كان سياق النفي لا يحتمل هذا التعريض كان التعبير به أوفى وأدق لأنه في سياق الحديث عن أثر الإيمان وفاعليته النفسية في المؤمنين ،وكأن تلك الرغائب الأخرى المرجوة جائزة لكنها عند قياس مستواها المادي مع حلاوة الإيمان تسمو فوقها النفوس وتتوارى عنها الدوافع الدنيوية الأخرى.

هذا وقد جاءت المقدمة الاستهلالية في غاية البراعة من تشويق وتصوير وترتيب ، **فأما التشويق** فقد صيغ في التركيب بحذف المسند إليه عناية بالمسند ولفت الانتباه إليه (ثلاث) والتقدير (هن ثلاث) ،أو بحذف المضاف إليه والتقدير(ثلاث خصال[1]) بحذف التمييز عناية بالمميز(العدد ومضمونه) فهذه الثلاث في الحقيقة متى توطنت في نفس المسلم سلم بها من مواطن الأمراض النفسية والمجتمعية، **وأما التصوير** فقد كان حين صور المردود الإيماني الحقيقي –رغم كونه شيئًا عقليًا – في صورة محسوسة تقريبًا وإشباعًا للشهوة البشرية في حب المطعوم (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) استعارة مكنية بجامع اللذة والتمتع ،فالإيمان ليس مطعومًا يستطعم يشعر فيه المرء بالحلاوة أو المرارة ، لكن القياس البشري للأشياء طلبها تجسيمًا محسوسًا مخاطبة للغريزة البشرية والشهوة الإنسانية ودعمًا في استثارتها الدافعية ، رمزية إلى تنفيس الشهوات بشكل صحي ومقبول، ثم كان بناء التعبير على القياس العقلي (الشرط وجوابه) بحرف العموم(من كن فيه) والذي يحتمل الموصولية الحرفية للعاقل كما يحتمل الشرط أيضًا ،وإن غلب عليه هنا في السياق معنى الشرط خطابًا فكريًا استدلاليًا، ولذا أوثرت (من الشرطية) دون(إذا) الدالة على التحقق والتوكيد حيث لم يقل (إذا كن فيه) وكأنه بمضمون العموم الشرطي يشير إلى عموم

[1]) عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد : السيوطي، تح د/ سلمان القضاة، دار الجيل ،بيروت ١٩٩٤م/١٤١٤هـ ، ج١/ ١٥٥ .

الكينونة وتعدد مقاديرها وتفاوت صورها، وهذا مما لا يتحصل عند استبدال الأداة بأخرى؛ لتناسب الشرطية المعنى القلبي للإيمان وارتباطهما الوجودي والمتعدد بتعدد النفوس، ولذا كانت الرمزية المعجمية في الجواب بكلمة(وجد)[1] ولم يقل (حصَّل) أو (أدرك) لما في الكلمة من مضامين الظفر والاكتشاف بعد تفتيش وجِدٍ وعناء ،والوجود بعد عدم، والمحبة بشغف،[2] مما ناسب المحبة معجميًا ،إذن الكلمة حملت في ثناياها كل ما سبق، ولو استبدلت بالمرادف لن يتحقق المرجو. وفي استعمال الطباق البديعي بالإيجاب والسلب في قوله (يحب المرء ، لا يحبه) تنبيه إلى التباين الحالي بين الفعلين ، وأثرهما العكسي في النفوس ، والمجتمعات ، ولعله رمزية واضحة إلى ما كان قبل الإسلام من عداوة وخصومة، وتبدل هذه الحال إلى أخرى تتبدى فيها المحبة والتآلف النفسي قبل الجسدي بعد العداء والفرقة.

وأما الترتيب فيظهر بتقديم محبة الله ورسوله على ما سواهما ،ثم يليها محبة المسلم لأخيه في الدين، ثم يؤخر رتبة كراهة العودة للكفر، وفي هذا الترتيب رمزية دينية لتعظيم الله ورسوله، وأسبقيتهما في الترتيب الوجودي مع رمزية(اليقين بهما ورسوخ العقيدة عليهما)،ورمزية اجتماعية(الترابط المجتمعي)ورمزية أخلاقية(الإخلاص القلبي والنفسي).وهكذا جاءت السيميائية أسلوبًا تعبيريًا رمزيًا في خطاب النبي الأمي الذي لم يدرسها يومًا ، تأصيلا بأن ما يتشدقون به من حداثة نقدية ومناهج أسلوبية كانت وما زالت البلاغة العربية منبعًا أصيلًا فيه وله ، رغم كل ما يصطنعون ويتأولون.

---

[1]) لسان العرب مادة (وجد).

[2]) الفروق في اللغة :أبو هلال العسكري ،دار الآفاق الجديدة ، ط خامسة ،١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، صـ٨٣.

٢- حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَارَةُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ **لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي** أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ...)[١]

ورد القصر بالنفي والاستثناء في باب الجهاد في جملة(لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي) حيث قصر التعبير أسباب الخروج للجهاد على سببين اثنين، وعلى ركيزتين :هما قوة الإيمان بالله والتصديق برسالة الأنبياء جميعًا، و لما كان الخروج للجهاد أمرًا معلومًا للمخاطبين في سبيل نشر الدعوة والدفاع عن الدين؛ لكن أسبابه تتعدد وتتباين والدوافع تختلف من شخص لآخر ومن زمن لزمن؛ لذلك نزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب ؛ألا وهو تنزيل المخاطبين منزلة من ينكر الخبر لما كانت نفوس بعضهم تميل للانتقام من عدو، أو ترغب في نيل الغنائم والأموال والسبايا ، أو كان الخروج ممن يرغب في الشهرة بالشجاعة وخوض المعارك، أو كان الخروج إرضاء لشخص أو قيادة عائلية ، فأراد الأسلوب تعيين وتحديد الأصل المبني عليه الجهاد على مدار الأزمنة والرسالات وتمخيض الهدف من غير شائبة قدح فيه، بإبعاد أي وجه من وجوه التطلعات والرغبات وإثبات سلامة القلب المؤمن.

فكان القصر بالنفي والاستثناء سيمائية تصويرية تتمثل في الإشارة اللفظية(المقصور والمقصور عليه) ودلالتها على وجوب تحديد الهدف من الجهاد قبل الشروع فيه ، وربطه بإرضاء الله وأنبيائه ، فمتى خالف المؤمن هذه القاعدة يحيد حينئذ عن الطريق الموسوم في الدين ،وبتصوير الدافع الديني القوي في صورة شخص قوي البنية يدفع آخر للخروج من حيز مكاني إلى آخر ،وتجسيم هذا الشخص بصورة الإيمان والتصديق على سبيل الاستعارة المكنية ؛لإظهار أثر كل منهما عليه. ثم

[١]) صحيح البخاري رقم (٣٦) باب الجهاد.

كانت الدلالة الاجتماعية الرمزية الذهنية إلى جوهر الجهاد وهدفه الرئيس ؛ ألا وهو التنزه عن صفة الاعتداء على الآخرين ،ومجاوزة الحدود في سلب الأراضي وقتل النفوس ،بل والتنزه عن تلبية أمر بشري يخالف أصول العقيدة ، ثم ما يستدعيه ذلك من التلويح بنبذ فكرة الجهاد متى استقر الدين في الأوطان ، وتحقق الأمن والأمان فكان التطبيق العملي للجهاد بالصورة المنصوص عليها في الحديث الشريف .

هذا وقد جاءت سيميائية القصر بالنفي والاستثناء حوارًا وخطابًا قويًا عالي النبرة في وجه من تسول له نفسه بتعدد النية في الجهاد، ولو جاز استبداله بـ(إنما) فقيل : إنما يخرجه إيمان بي وتصديق برسلي ،حينئذ تختلف لغة الحوار لتنتقل بالمتلقي إلى الحوار الهادئ وهو ما لا يتناسب مع إشراك غير الله في نية الجهاد ، فكما هو إثم عظيم يناسبه تركيب النفي القوي اللهجة فضلًا عما تختص به (إنما) من التعريض ،وهذا أيضًا مما لا يتناسب مع المقام الذي يتطلب التصريح الحازم في مقام الوعد بدخول الجنة، فهو مما لا يحتمل المواراة والستر ،والتعبير الخفي مما يحتمل المضامين التي تعتمد على عقل المخاطب وتفاوت إدراكه.

ومن دلائل السيميائية اللغة التركيبية الرمزية بإيثار التعبير كلمة(انتدب)وبنيتها الصرفية على وزن (افتعل) وهي أقوى معنى من الفعل (ندب) للمبالغة والاجتهاد والاتخاذ والإحسان في الفعل ،وكأنها رمزية إلى صفات الله الشاملة لما سبق، فليس انتدابه سبحانه يقدر بوصف وهيئة ومقدار ، بل تعجز عن وصفه حدود الكلمات ، ولذا كانت الكلمة اختيارًا دون (تكلَّف) لما في الانتداب من الدعوة والاستجابة والتيسير والظهور والتعيين والتوجيه.[1] وفيها رمزية وفاء الله بما أوجب على نفسه من أجر للمجاهد على جهة الندب والاستحباب وليس على جهة الفرض والتكليف، تنزيهًا

[1]) ينظر : لسان العرب مادة (ندب).

لأفعال الله عن الإجبار، ثم بناء التركيب على النفي بـ(لا)في جملة (لا يخرجه) ولم يقل (ما يخرجه)لاستعمال الخبر(النفي) بمعنى الإنشاء(النهي) للتنبيه على سرعة الامتثال متى تمكن الإيمان من صاحبه، أو لحمل المخاطب بلطف على الإتيان بالمطلوب[1]؛ لأنه إذا لم يخرج بهذه الصفة لم يكن مؤمنًا ومصدقًا، وكأنه قال : (لا تخرجوا إلا إيمانًا وتصديقًا حتى تنالوا ما أوجب الله على نفسه من ثواب وأجر) ورمزية التعبير هنا ظهرت بمخالفة مقتضى الظاهر وكأن المخالفة الفكرية للمطلوب تستدعي مخالفة لغوية تلفت المخاطب إلى خروجه عن المسار المحدد. وكأن المخاطب باستجابته للنهي الضمني قد حقق النفي اللفظي قبل وقوعه.

والمخالفة الصريحة بين الإيمان والتصديق في التركيب دلالة معنوية، حيث قال (إيمان بي، وتصديق برسلي) ولم يقل (إيمان بي ، وبرسلي)، والكلمتان لا تترادفان من كل وجه ؛فالإيمان أوسع من التصديق ،لأنه يشمل التصديق وزيادة كما أن الصلاة تشمل الدعاء وزيادة ، فمتى تحقق الإيمان بالله تحقق التصديق بأنبيائه، كما أن التصديق يقتضي الاعتراف والتأييد والموافقة بالدليل الفعلي، ففي النص على التصديق هنا خاصة في شأن الجهاد رمزية للدافعية الداخلية الصادقة ودورها الفاعل في تثبيت قواعد الإيمان ،والتي متى تحققت نسي معها المجاهد نفسه وحرصه البشري عليها. وفي بناء الفعل الصرفي على وزن (تصديق)(تفعيل) وتضعيف العين يعني تطويل مدة النطق بها من مخرجها ،فتكرار العين عند الصرفيين ليس إلا نوعًا من الزيادة للدلالة على الشدة والتكرار والمبالغة والتكثير. وإيثار معجم التعبير لكلمة(رسل) دون كلمة أنبياء رمزية للدعوة الظاهرة بالوحي ،وفي إضافة الكلمة لضمير الله المتكلم خصوصية الرسالة عن المرسَل، وخصوصية الإضافة لله-عزوجل- وهذا أدعى في القبول والتعظيم لشأن الرسالة ومؤديها،وهكذا تحققت السيميائية الرمزية في

[1]) ينظر: بغية الإيضاح ج٢/ ٢٧٥.: عبد المتعال الصعيدي ،مكتبة الآداب ط أولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م.

لغة الخطاب النبوي رمزية كنائية سياقية ترسل للمخاطب مضامين يتلقاها العربي بسليقته ويحللها بفطرته ؛ليصل إلى مرامي المتكلم منها ممارسة عربية دون تعليم أو تدريب.

٣-حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا **قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّار...)**[1]

ورد النفي والاستثناء في سياق بيان فضل التوحيد والإخلاص فيه على الموحدين، فبهما النجاة يوم القيامة ، والقصر بالنفي والاستثناء هنا لم يقع في أمر مجهول ؛لأن المخاطب (معاذ بن جبل) _رضي الله عنهما_ موقن به ، ولكن لما كان من المسلمين من يعصي الله مع إيمانه وقد استعظموا عصيانهم هذا ، فكان حالهم حال من جهل الخبر وأغفل الاعتقاد وأنكره ،"فكانت الملابسات والممارسات التي كانت يعلمونها توحي بأنهم قد أغفلوا المعلوم ،وتجاهلوا الحقيقة؛ فخوطبوا خطابًا قويًا وهم أصحاب فطرة سامية يحسنون سماع التراكيب ،وقد لفتهم هذا التركيب إلى أنهم كأنهم جهلوا في دينهم أمرًا جللًا[2] "هو أساس العقيدة والتوحيد ؛ألا وهو الإخلاص في الدين ، وأنه محط وزن الأعمال في الآخرة ، ما أنه لا يدع أهل الإيمان يصرون على السيئة في الدنيا لما يتركه من أثر على القلوب والأعمال ، فلابد من كون التوحيد صادقا مانعا من الذنوب ،ومتى امتنعوا عنها حرموا على النار،بل وفيه رمزية قيمة

[1]) صحيح البخاري رقم (١٢٨).

[2]) دلالات التراكيب : د/ محمد أبو موسى ،مكتبة وهبه، ط خامسة ،١٤٢٥هـ/ ٢٠١٤م، صـ ١٣٥.

التوحيد وأثره الظاهر والباطن على الفرد المسلم، ورمزية البشارة العظيمة للموحدين المخلصين.

و باستعراض سيميائية التركيب يتضمن التعبير أسلوبًا شرطيًا خفيًا يستأنس من السياق ؛أي إذا شهد أحدكم بالتوحيد ورسالة الرسول صادقًا من قلبه حرمه الله على النار، وفيه رمزية الخطاب المنطقي المبني على المقدمات المؤدية للنتائج ؛حتى لا يدع العقل ويظل ملازمًا له ،فيرضى ويقتنع بالمعروض عليه، وهو رمزية للحجاج بالبرهان والدليل ودعوة صريحة لإعمال الفكر في المسموع ؛ أي متى عمل المؤمن بموجبات إيمانه فما حاجة الله إلى تعذيبه متى استقر وثبت. كما يؤثر التعبير معنى الشهادة المعجمية الاجتماعية في قوله (يشهد) دون (يعلم) أو (ينطق) لأن الشهادة تقتضي أنه عالم بها ، والشاهد نقيض الغائب في المعنى ولهذا سمي ما يدرك بالحواس ويعلم ضرورة شاهدًا ، وسمي ما يعلم بشيء غيره وهو الدلالة غائبًا [1]. ولأن النطق قد يكون لسانيًا لا قلبيًا، فالكلمة مقصودة لذاتها توكيدًا ورمزًا للموافقة الباطنية للظاهر، فهي شهادة حس للسمع ،وشهادة يقين للوجدان. وكأني هنا استشعر وألمح إشارة خفية إلى التذكير والتعريض بالشهادة الجينية القديمة للبشر جميعًا وهم في ظهر آدم بربوبية الله ، في قوله تعالى **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾** .

وخصوصية التعبير في الحديث النبوي بالفعل المضارع ما يؤكد رمزية التجدد والتكرار والاستمرار مدة حياة المؤمن، رمزًا لتجدد الإيمان كرة بعد أخرى، وتبدل أحواله ما بين قوة وضعف ؛مما يستدعي تجدده، وتكرار الإعلان في المناسبات والسياقات المختلفة؛ تذكيرًا لنفسه بموجبها، وتذكيرًا لغيره احترامًا وإجلالًا .

---

[1]) الفروق في اللغة ص٨٨.

ويساق أسلوب القصر بالنفي والاستثناء مرتين متداخلتين للرمزية العقدية في الأولى(التوحيد)، والرمزية الأخلاقية الاجتماعية في الثانية منهما(الصدق)؛ إحداهن في جملة التوحيد(يشهد أن لا إله إلا الله ...) والأخرى في جملة الرسول (ما من أحد يشهد....إلا حرمه الله على النار) والقصر في الجملتين قصر حقيقي تحقيقي لإفراغ الحقيقة في قالب متين موثق ؛لتقريرها وتوكيدها في النفوس بهذه اللهجة الحاسمة حتى لا يتصور الذهن خلافها، ولا يحيد عن حدودها ، كما أن طريق القصر بالنفي والاستثناء هو الأوسع دلالة لاشتماله على نفي وإثبات صريحين يناسبان الشهادة بها والتي تستدعي الجهر والعلانية ،كما يناسب البشارة بالتحريم على النار ، فكما النار شأن مهول ناسبه في التعبير عنه أسلوب جليل، موازٍ له قدرًا وشأنًا.

وتطغى في الجملة رمزية الدلالة الصوتية التركيبية من أربعة أحرف(اللام،الألف، الهمزة ،الهاء) وهذه بعينها أصوات لفظ الجلالة ،وقد خلت الجملة الشريفة من الأصوات الشفوية أو المجهورة، ودون تحرك الشفة ،والمد الوحيد فيها هو ألف الممتد نحو العلو، وتناسب معه شيوع حركة الفتحة فيها، إذن هناك نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات بدت ظاهرة هنا ، بل وتتبدى رمزية دلالة الكلمة النحوية ؛ لأن الجملة تكونت من أربع مفردات هي: (أداتان :لا ، للنفي المطلق ،إلا هي أم الباب في الاستثناء) واسمان (إله، الله) وبين الأداتين والاسمين تناسب ظاهر، فكل أداة سبقت اسما، وكانت الأداتان هما الأقوى في بابهما. [1]. مما يستدعي في العقل الجمعي للسامعين أن الشهادة هي أم الإسلام وبابه الواسع، والدوام والثبوت عليها هو باب النجاة الدائم.

[1]) بتصرف مجلة العلوم العربية : العطوي عويض بن حمود ، بحث بعنوان : بلاغة كلمة التوحيد،٢٠١٢ م، العدد ٢٣، صـ١.

بل وتظهر سيميائية التركيب أيضًا في رمزية عطف جملة (وأن محمدًا رسول الله) على جملة التوحيد ، بوصلها بما سبق من شهادة التوحيد ؛ رمزًا إلى المغايرة والتكامل والجمع بينهما، وبهذا يكون تسلسل الكلام مؤديًا إلى ارتباطهما وأنهما لا يزالان يذكران قرينين في الحس والوجدان ، ويلتحم أولهما بآخرهما حتى يكون كالجملة الواحدة ، توضع في النفس وضعًا واحدًا، فلا يصح إيمان إلا بتحققهما معًا ترتيبًا للوجود وجمعًا للفعل.وتلك رمزية الوصل بين الجملتين رمزية للعلاقة القائمة والضمنية للفعلين فيهما.

والتقييد بالمصدر في قوله(صدقا من قلبه) ولم يقل : (صادقًا) لأن اسم الفاعل يدل على الحدث والحدوث وفاعله، ويقصد بالحدث معنى المصدر وبالحدوث ما يقابل الثبوت ف(قائم) مثلا يدل على القيام وهو الحدث وعلى الحدوث أي التغير ،فالقيام ليس ملازمًا لصاحبه، ويدل على ذات الفاعل أي صاحب القيام، [1] وعليه فاستعمال المصدر هنا رمزية للمبالغة في الصفة من حيث كانت تمييزًا إعرابيًا من ناحية اللغة ، وتمييزًا دلاليًا للمعنى من الناحية البلاغية دلالة على تمييز نوعين من الشهادة : الملازمة للصدق القلبي، والمتغيرة فيه، وللتنديد بالنفاق والاحتراس عنه، رمزية لكونه(مرضًا نفسيًا اجتماعيًا)؛ لأن كلمتي الشهادة لا تنفعان منافقًا يوم القيامة، وفيه تلويح بوجوب ولوج النار لمن خالف هذا القيد. وهو علامة ورمزية إلى وجود ميثاق اجتماعي بين طرفين تشهد عليه الحواس والجوارح كما يشهد عليه المجتمع المسلم ،وأن عليه شهادتين شهادة لسانية وأخرى قلبية. وحتى يطرق الذهن جعل الصدق من القلب(من قلبه) بجعله نابعًا منه ابتداء غاية ومحل فعل، وهذه سيميائية تصويرية (استعارة تبعية في الحرف) تحوله إلى منبع وجود وأصل كيان، ولو قال :

---

[1]) معاني الأبنية في العربية : د/ فاضل السامرائي، دار عمار للنشر ، ط ثانية ١٤٢٨،٢٠٠٧م،صـ٤٣.

(صدقا في قلبه) لأظهر التعبير انغلاق القلب عليه وعدم إظهاره ؛مما ينافي واقع الشهادة المعلنة المطلوبة.

والتعبير بالتحريم دون (المنع) أو (الحظر) أو (الحجب) لما في التحريم من التأبيد، والمحظور يكون إلى غاية[1] ورمزية تغيير الحكم من الحل إلى التحريم ، وهي رمزية التبديل أو الاستبدال ، وفي اللفظ رمزية إلى الحيلولة من انتهاكه، بدلالة ذكر الفاعل (حرمه الله على النار) فليس بعد وعد الله خوف، متى استقر في النفس أن الفاعل هو الله، فهو القائم على إنفاذ وعده .

❖-شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ **إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا**...)[2]

ورد القصر بالنفي والاستثناء في جملة(إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها) بقصر الأجر والثواب من الله على النفقة المتوجه بها له وحده سبحانه، وهذا في بداية الدعوة أمر مجهول لدى المسلمين الأول فقد اعتادوا النفقة كفالة ومسؤولية ،أو سدًا لجوع فقير، أو إكرامًا لضيف ،أو تعاطفًا قَبَليًا ، أو رياء و فخارًا، أو كفاية لأسرة وإغناء ، أو إرضاء لزوجة وعائلة ، لكن لم يكونوا على علم بمقدار ما ينتظرهم من الأجر الأخروي إلا بعد هذا الحكم الصريح ، والقصر هنا حقيقي تحقيقي بالنسبة للواقع الديني حيث يزول أي ثواب للنفقة متى جمعت سببًا آخر غير الإخلاص، وقصر إفراد بالنسبة للمخاطب لأن النفقة تتعدد مسبباتها الدافعية والمجتمعية، وفيه دلالة رمزية على سعة الإسلام وموازنته بين التكاليف والأجور

[1]) الفروق صـ٢٢٤.

[2]) صحيح البخاري رقم (٥٦) باب ما جاء بأن الأعمال بالنية والحسبة.

المقرر عليها ، والقصر هنا سيميائية اجتماعية تناقش عدة دلالات رمزية ما بين اجتماعية ودينية : **أولها** النفقة على وجه العموم، **وثانيها** التوجه إلى الله في كل شؤون الحياة، **وثالثها** نفقة الزوجة على وجه الخصوص، وهذه كلها مقاصد اجتماعية دينية دنيوية وأخروية.

وسيميائية البنية الصوتية لتعدد حرف النون في الجملة وهو من الحروف الجهورة مرقق ومن الحروف الذلق، رمزية إلى عطاء المنفق الرقيق جهرًا وسرًا، وسيميائية التركيب النحوي تبدأ من التوكيد المصدرة به الجملة (إنك لن) ويعد هذا الأسلوب التعبيري لغة حاسمة لقطع أي تردد أو تساؤل يمكن أن يراود النفوس، وكأن تردد السامع النفسي في إدراك ما هو جديد في الحكم وإزالة ما هو قديم في الذهن تطلب من المتكلم حسمًا لهذا الصراع الداخلي بالتوكيد ، ولأنه قصد بالخبر هنا معنى الإنشاء ؛ أي النهي عن الإنفاق إلا ابتغاء وجه الله ، وكأنه قال : لا تنفق نفقة إلا وتقصد بها وجه الله، وفي هذا سيميائية قراءة النفوس البشرية وإدراك ما يعتريها من أفكار ثم اختيار ما يناسبها من أدوات الحوار بأسلوب مؤدب وكأنه يترك للمخاطب حرية الاختيار بين أن يفعل أو لا يفعل. وفي الخروج على خلاف مقتضى الظاهر هنا باستعمال الخبر في معنى الإنشاء رمزية واضحة إلى مخالفة النفس البشرية في محبة الشكر والظهور بمظاهر الخيرية ،ورمزية لمخالفة نفسية، وكأنه يجب عليها مخالفة الطبيعة الإنسانية إلى مطاوعة الشرائع الدينية وجعلها بمنأى عن أي شائبة .

ورمزية التنكير الكائن في كلمة(نفقة) والذي يفيد العموم ،حتى يشمل عامة أضرب النفقة ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها،هي رمزية للتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، ثم تتبدى السيميائية التركيبية بتقييد النفقة بجملة(تبتغي بها وجه الله) وهي جملة احتراسية ؛ لأنه لو اقتصر على جملة النفقة فقط ، فقيل : إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، لأوهم السياق وجوب الأجر في سائر أسباب وأضرب النفقات وجميع النوايا فيها، فأزال التقييد هذا الوهم بتحديد وتخصيص النية لله، ثم

إيثـــار التعبيـــر للبنـــاء الصـــرفي للكلمة(تبتغي)رمزيـــة علـــى الاتخـــاذ والطلـــب دون(تقصد)أو(تريد) أو (تطلب) ، ولما في الابتغاء من شمول مضامين المراقبة والمصاحبة واللزوم والاستحباب والتأمل فضلًا عن الإرادة والطلب [1]، رمزية إلى تعدد الأحوال في النفقة، ثم التعبير بجملة(وجه الله) حيث لم يقل تبتغي لقاء الله أو رضا الله أو عطاء الله، وإنما نصت الجملة على وجه الله ، وكأن التعبير يلوح للمنفق المخلص كيف يلتقي بوجه الله الذي هو صفة من صفاته ،فوجه الله العظيم وجه لا يمكن الإحاطة به وصفًا ،ولا يمكن الإحاطة به تصورًا ، فكما وجه الله عظيم كذلك الإخلاص في الإنفاق عظيم ، فالجزاء من جنس العمل ،وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، وفي تلك الجملة رمزية تعظيم الإخلاص وذم الرياء والنفاق ، فنعمة رؤية وجه الله نعمة عظيمة لا يعادلها جزاء أو عطاء ، وهي لن تتحقق للجميع في الآخرة؛ وإنما هي الزيادة التي وُعِد المحسنون في سورة الأنبياء.

وجملة القصر النبوي هنا تلتقي بالتعبير القرآني التقاء وحدة تركيبية ودلالية على كون الموجه الخطابي في التعبيرين واحدًا، وأنهما يخرجان من مصدر واحد هو الله ، في قوله تعالى ﴿**وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾[2] وإن وقع الخطاب في الآية للضمير الجمعي(خطاب الجماعة)الذي يعم كل المسلمين، رمزية إلى عمومية خطاب الله لجميع الموحدين به دون تمييز ؛ بينما وقع لفظ الحديث بخطاب المفرد (إنك) لكون الخطاب موجهًا من الرسول إلى سعد بن أبي وقاص مباشرة زمنية وحوارية ، وتوجيهًا نبويًا للفرد القدوة الذي هو موكل بنقل ما تعلم إلى غيره من المسلمين، وفي ذلك رمزية اختيار المتلقي الثقة الذي يحسن النقل والحفظ ، ويعي الإسقاط الحواري جيدًا.

---

[1] المعجم الوسيط مادة (بغى).

[2] سورة البقرة آية(٢٧٢).

والتعبير بالأجر في قوله صلى الله عليه وسلم (إلا أُجرت عليها) حيث لم يقل (أُثِبْتَ) من الثواب، لأن الثواب يكون بعد العمل ،بينما الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه والشاهد أنك تقول : ما أعمل حتى آخذ أجري ،ولا تقول لا أعمل حتى آخذ ثوابي[1] إذن الكلمة سيميائية تصويرية لصورة ذهنية اجتماعية معهودة بين البشر، ألا وهي صورة الأجير والمؤجر، وكأن المؤمن بإخلاص النفقة أجير يعمل عملًا ينتظر فيه مقابلًا ماديًا ينتفع به، فكما ينتفع الأجير بالأجر في الدنيا ينتفع المخلص في النفقة بالأجر المنتظر في الآخرة ،ففيها معنى المعاوضة بالانتفاع ، فضلًا عما في الكلمة من مضامين التمكين والانتفاع والإثابة والرضا والجبر والتوجيه[2] . والخطاب الرمزي للرغائب البشرية القائمة على مبدأ الانتفاع والمعاوضة، وكلها مضامين تتناسب كمًّا وكيفًا مع رؤية وجه الله المنتظرة والموعودة.

ولا يصح هنا القصر بـ(إنما) بديلًا عن النفي والاستثناء من حيث كانت (إنما) للخبر المعلوم الذي لا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة ، وكلاهما لا يعقل في هذا المقام ، فالمخاطب هنا وهو صحابي جليل(سعد بن أبي وقاص)من أحرص الناس على اتباع أوامر الرسول، واجتناب نواهيه، ولو استعملت (إنما) لكان مؤداها علم سعد –رضي الله عنه– بالخبر وعدم العمل بمقتضى علمه هذا ، مما يوحي بالاستهانة بالأمر منه، والتعريض به، وهو مما لم يقع بحال من الأحوال. بل ويبدو منها التبكيت على أي وجه آخر من وجوه الإنفاق .

٥–حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَلَى غَيْرِ مَا حَدَّثَنَاهُ الزُّهْرِيُّ قَالَ سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ

[1]) الفروق في اللغة صـ ٢٣٢.

[2]) معجم لسان العرب مادة (أجر).

قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ** رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)[1]

ورد القصر النبوي بالنفي والاستثناء في جملة(لا حسد إلا في اثنتين...)في سياق بيان فضل الصدقة لمن أنفق ماله في دروب الحق العديدة والمتنوعة وبالغ ،وفضل تعلم الحكمة(سواء قصد بها عموم اللفظ أو القرآن والسنة) لمن أتقن وسارع في نشر علومهما وأحكامهما بين الناس، والخصلتان اجتماعيتان متى تحققا على الوجه المبين في الحديث تحقق بهما التكافل الاجتماعي وغنى المجتمعات، مما يؤدي إلى عناية الناس بالعلوم وانتشارها بما يستتبع رقي المجتمعات الإسلامية، وإظهار الاحترام والتقدير العلمي للعلماء،وفيهما رمزية تحقق السلم الاجتماعي والنفسي، والدعوة إلى الرقي والتسامي عن الأنانية وحب الامتلاك المادي والمعنوي، بل والدعوة إلى شكر المنعم ببذل النعم في سبيل الله ، ولذا استعمل القصر هنا قصرًا إضافيًا للإفراد ، وكأن ما سواهما من أعمال الخير عدم ؛ مبالغة في التنبيه على أفضليتهما، واجتذاب المسلم إليهما، ولما يترتب عليهما من منافع وقيم للمجتمع المسلم.

وهذا الخير معلوم بين الناس ؛ولكن نزل منزلة المجهول لعظم ترك العمل به ،وجرم تجاهله واستبعاده ،وكأن المسلمين حين ينتشر بينهم كثرة المال دون إنفاقه، وكتم العلم دون انتشاره، يتجاهلون أصلًا عظيمًا من أصول الدين الإسلامي، ألا وهو روح التنافس في عمل الخير وشيوعها بين أفراد المجتمع ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾[2]، والحرص على هذا يسمى منافسة ، فكأنه قال : لا منافسة أعظم أو أفضل من المنافسة في هذين الأمرين.

---

[1]) أخرجه البخاري (٧٣) باب الاغتباط في العلم والحكمة.

[2]) سورة البقرة آية(١٤٨).

وحتى يقرب الفكرة من الذهن استعمل الحسد بمعنى الغبطة بجامع التمني والكثرة في كل، استعارة تمليحية ، فكأنه قال تنافسوا في هاتين الخصلتين حتى تصلوا في كثرتهما وشيوعهما مثل شيوع الحاسدين، والغرض من ذكر كلمة الحسد تنبيه الذهن ولفت النظر إلى مقدار الفارق الدقيق بين الاستعمالين، وفيه دعوة إلى تدبر المعاني واستبدال الشائع المذموم(الحسد) بالشائع المحمود(الغبطة). قال النووي في شرح مسلم [١]: لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين، وقال ابن حجر[٢] "وأما الحسد في الحديث المذكور فهو الغبطة ،وأطلق الحسد عليها مجازا ،" والغبطة أن تتمنى أن يكون مثل حال المغبوط لك من غير أن تريد زوالها عنه[٣] ، والاغتباط الفرح بالنعمة ،وهو صفة حميدة لأنها داعية للكمال والرقي خلافًا للحسد .

وبالوقوف على بعض خصائص التركيب النبوي الشريف نجد مزية سيميائة القصر بالنفي والاستثناء هنا باستعمال (لا) النافية للجنس ، وهي الدالة على نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها على سبيل الاستغراق [٤]، بمعنى نفيه عن الجنس نصًا، وهذه دقة لغوية ينبغي التوقف عندها، إذ يتوهم البعض أن النص يدعو صراحة للتحاسد بذكر لفظة الحسد بديلًا عن الغبطة؛ لكن بمعرفة السياق الدلالي للمفردات المستعملة يُعلم أهمية نفي الجنس هنا ، وما يرمز إليه من نفي الحسد أصلًا، بنفي جنسه، ثم يجيء الاستثناء بالحرف (إلا) ليبني حكمًا مغايرًا لما سبق ،وكأنه قال : لا حسد في النعم إلا غبطة في نعمتين، ولذا كانت رمزية التأنيث في كلمة (اثنتين) حيث لم يقل (اثنين)،رمزية إشارية إلى المخفي المحذوف.

---

[١]) صحيح مسلم بشرح النووي ، رقم الحديث ٨١٥،مؤسسة قرطبة ، ط ثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

[٢]) فتح الباري : أحمد بن حجر العسقلاني، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، ج١/صـ١٩٩، كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة.

[٣]) الفروق في اللغة صـ١٢١.

[٤]) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصاري ، ط أولى دار المغني للنشر الرياض ٢٠٠٨م، ج٢/صـ٣.

ولا يمكن استبدال قصر النفي والاستثناء بأي أداة أخرى هنا لما في نفي الجنس من عموم واستغراق تام ، يزول معناه بزوال الأداة. ويستكمل السياق رمزيته التصويرية بالاستعارة التبعية في الحرف، بجعل الغبطة ظرفًا ووعاء يحيط المتصفين بالخصلتين دلالة على الشمول والتميز والحفظ عمن سواهما، وكأن الغبطة تتجسد صورة وهيئة تضم وتحيط إحاطة الظرف بالمظروف فلا تبقي للحسد أثرًا ، ولا تسمح بتسربه إلى المؤمن من أي جهة ؛ فهو محاط بسياج الغبطة المانع الحائل. بل تتواصل سيميائية الصورة في جملة(فسلط على هلكته) حيث لم يقل (فسلط على إنفاقه) بتصوير المال في صورة الهالك الذي لا سبيل لرجوعه كناية عن نفاده واستنفاده النهائي.

كما تظهر رمزية تباين التنكير والتعريف ما بين لفظتي (مالًا) و(الحكمة) من بيان اختلاف الحال بينهما فالمال كثير متعدد وعظيم وسبله مختلفة ،أما الحكمة فـ(أل) يجوز أن تكون للعهد الذهني يراد بها القرآن والسنة، فتكون خاصة ، ويجوز أن تكون للجنس وهو الراجح لاستغراق صنوف الحكمة جميعًا ومن باب أولى القرآن والسنة فهما أصل الحكمة وعنوانها. بل تظهر الرمزية الكنائية في أجلى صورها ؛ في رمزية التوافق والتطابق الفعلي والقولي للمؤمن الحق، أو التوافق الظاهري والباطني في نفسه عند تطبيق الحكمة فعلًا، وهذا مما يفهم من جملة(يقضي بها) ،وقولًا مما يفهم من جملة(يعلمها). وهي رمزية سيميائية إلى استكمال مسببات الجمال الأخلاقي باتفاق الباطن مع الظاهر ونفي النفاق عنه. وبالتبعية تستلزم من المخاطبين التشبه بهم واستدعاء التخلق بأوصافهم. وهكذا بُنِيت جملة القصر علامة اجتماعية رمزية تحارب الحسد بنفي سببه وتدعو إلى السلم الاجتماعي والنفسي والعلمي باستعمال أدوات دلالية سيميائية مختلفة داخل سياق جملة القصر؛ لتصل من خلال العلامة إلى المبتغي التأثيري.

المبحث الثالث:

السيميائيــة والتركيب البلاغــي للقــصر بالنفــي والاســتثناء في سياق المعرفةا لعلمية وأسبابها

١- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ أَخْبَرَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ**...) [١]

ورد أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في سياق الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أبي بكر، وهو سياق إشادة بجوانب شخصيتها الشغوف بالعلم، كما يوضح مقدار أمانتها في نقله، وتواضعها في التعلم والاستيثاق منه حتى تقف على حقيقة صوابه أو خطئه، وإشادة بصفاتها الخُلُقية وصلاح مقوماتها التعليمية بسبب بنائها على أسس علمية دقيقة، وهذا من الفطنة والذكاء ألَّا توقن أم المؤمنين بكل ما سمعت ومعها رسول الله مرجع علمي تنهل من منابعه، وهذا الخبر عن السيدة عائشة من راوي الحديث لم يكن المخاطبون يعلمون به، فاقتضى السياق من المتكلم أسلوب القصر بالنفي والاستثناء لغة توكيدية لرمزية اجتماعية؛ ألا وهي أحقية المرأة المسلمة في طلب العلم بالسؤال عما أشكل عليها، ومراجعة أهل العلم فيه متى راودتها استفهامات علمية خاصة بمعلوماتها. وهي رمزية اجتماعية تؤكد مشاركة المرأة الرجل في طلب العلم في عهد النبوة الشريف؛ مما يعد ردًا حازمًا على من يطالبون بقصر العلوم على الرجل دونها.

[١]) صحيح البخاري رقم (١٠٣) باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه.

واستعمال الراوي لألفاظ ذات دلالات سيميائية تركيبية رمزية ؛ فالسماع ،والمعرفة، والمراجعة ، بينها جميعًا مراعاة نظير بديعي ، وفي جمعها أوصاف للسيدة عائشة رمزية أحقيتها بالعلم الشرعي والأخذ عنها؛ لامتلاكها الأدوات اللازمة والكافية، فلفظة(كانت) فيها إشادة بطبيعتها الخِلقية وفطرتها المحبة للمعرفة العلمية ، وكأنها جبلت عليه منذ ولادتها ،فهي رمزية الذكاء الفطري، ثم تعبيره بجملة(لا تسمع شيئا) أي لا تقبل ، فالسماع مجاز مرسل عن القبول الفكري علاقته الآلية ، فالسمع آلة موصلة للعقل الذي يقوم بقبول المعلوم أو رفضه ، وفيها رمزية الإقبال العلمي بأدواته المعلومة ، والتعبير بالفعل المضارع استحضار للصورة الماضية لقوة تحققها، ولأن الرسول ما زال حيًا تتجدد معه الأحداث والمعلومات ،فهي سمعت من النبي وظلت تسمع منه حتى وفاته ، مما يرمز إلى إدراكها المسموع في العموم ، لكنها لما كانت تُعمل عقلها فيه أردف الراوي وصفًا للمسموع يوضحه للمتلقي بقوله بعدها : (لا تعرفه)،"والمعرفة أخص من العلم لأنها علم بعين الشيء مفصلًا عما سواه ... فكل معرفة علم ،وليس كل علم معرفة ، وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره"[1] إذن المعرفة هنا مجاز مرسل عن الفهم والقبول ، لعلاقة السببية فالمعرفة سبب للفهم والطلب ، وهنا تظهر رمزية الفطرة العلمية التي توازن بين الأشياء بعين فاحصة وقلب واعٍ ، والطباق الواقع بين (لا تعرفه بالنفي ، وتعرفه بالإثبات) رمزية واضحة إلى تبدل الحال بين الوصفين ، ورمزية ضمنية للتفرقة بين حالي الجهل والعلم ؛ حتى يقف الخيال عندها طويلًا فيدرك البون الشاسع بينهما ،ويتخيل معها مقدار الراحة النفسية الحاصلة بعد تعب الجهل والقلق، ثم يواصل الأسلوب مخاطبة أدوات العقل بعد هاتين الجملتين بمجيء (إلا) جرسًا خطابيًا لاستكمال مدح أم المؤمنين بمغايرة الوصف لما قبله (إلا راجعت فيه حتى تعرفه) والتعبير

[1]) الفروق في اللغة صـ ٧٢.

بكلمة(راجعت) يفيد إعادة النظر والترديد والتثبت والبحث والتدقيق للتأكد من صحة المعلوم ،مما يؤكد نقولها النبوية عن أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وهنا تظهر رمزية الاستيثاق من المعلوم قبل نشره على الناس. ورمزية التشبه بها فيما كان. ويظهر أسلوب القصر المعرفة على ما تمت مراجعته ،قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا لمطابقته الواقع ، وقصر تعيين لمن يعتقد الشركة. وفي أسلوب القصر بالنفي والاستثناء لغة حاسمة ناجزة للمخاطبين ، وللرد المستقبلي على كل من تسول له نفسه بالتشكيك فيما روت من أحاديث وحوادث. وأيضًا لغة قوية تناسب جلال مقام السيدة عائشة –رضي الله عنها وأرضاها– في نفس المتكلم والسامعين حينئذ وحتى يوم الدين. بل وفي القصر بالنفي والاستثناء هنا رمزية الخطاب المؤكد المقرر للحقيقة الغائبة ويناهض بالدليل .

ولو استبدل النفي والاستثناء بالقصر بـ(إنما) فقيل : إنما تسمع ما تعرفه بعد مراجعته ، لظهر في مضمون الخبر سابق معرفة السامعين له، وذا مما لم يقع منهم حتى رواية هذا الخبر، و لأوحت (إنما) بعدم العمل بمقتضى المعلوم ، بإنكار المخاطبين بعض ما تنقله أم المؤمنين ، وهذا أيضًا ما لم ولن يحدث من المؤمنين الصادقين سواء كانوا المعاصرين أم التابعين ومن بعدهم إلى يوم الدين . مما يجعل القصر بالنفي والاستثناء في موضعه أحق وأولى.

٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْجَمْرَةِ وَهُوَ يُسْأَلُ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ ارْمِ وَلَا حَرَجَ قَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ قَالَ انْحَرْ وَلَا حَرَجَ **فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ افْعَلْ وَلَا حَرَجَ)**[1]

[1]) صحيح البخاري رقم (٨٣) باب الفتيا وهو واقف على الدابة.

ورد أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في سياق حجة الوداع في منى ، حينما وقف الرسول –صلى الله عليه وسلم–يعلم الناس أمور دينهم ،ويرد على استفساراتهم الخاصة بالحج ، والقصر هنا في أمر مجهول قبل رواية الحديث، فهذه الأحكام عن الحج لم تكن معلومة لدى المخاطبين من قبل؛ فاقتضى السياق أسلوب النفي والاستثناء حتى يحسم القضية من جذورها ،وتظهر رمزية الأسلوب في وجوب استفتاء المختصين والرجوع لأهل الثقة منهم، بل كانت الرمزية واضحة في إبراز أن اشتغال العالم بالطاعة لا يمنع من سؤاله عن العلم عند الحاجة الملحة ، كما تتجلى رمزية التيسير في الأحكام الفقهية متى وجد المشرع إليه سبيلًا.

والقصر حقيقي ادعائي بالنسبة للواقع الديني للمسلمين في حجة الوداع، فليس الجواز على اطلاقه يومئذ وإنما أجيز ما أباح الشرع فعله من تقديم أو تأخير، أما مبطلات الحج فلا إباحة فيها ،والقصر بالنسبة لاعتقاد المخاطب(الحجاج)الذين يعتقدون عكس الحكم أتى لقلب الحكم عليهم، والتوكيد بالنفي والاستثناء هنا يفسر شيئا في داخل المتكلم(عبدالله بن عمرو)ذلك هو إحساسه العميق بما يجيش في نفوسهم من مشاعر الحرص والخوف والإشفاق من فوات حجتهم مع الرسول، وإدراكه لأحوال شعورية داخلية تراودهم حرصًا منهم على أداء المناسك بشكل صحيح ووافٍ، حتى أنهم يستشعرون فساد مناسكهم لمجرد الخطأ فيها، ولما كان إحساسه مؤكدًا ومقررًا في ضميره وشعوره صاغه صياغة مؤكدة ومقررة ، لحسم أي تردد منهم.

ودلالة رمزية التركيب بتصدير النفي في مستهل الجملة أتم في دلالة العموم (ما سئل)، ثم اختيار فعل السؤال دون(استُعلم) أو(استُخبر) أو(استُفتي) ، لما فيها من الدلالة على طلب الاستخبار والسؤال والاستعلام والحيرة والشك ومن الدلالة على عدم احتمال التأجيل، وتلك مضامين النفوس المتوترة التي يخاطبها ، ثم ما كان من بناء الفعل للمفعول ليسلط الضوء ويلفت الانتباه إلى حقيقة السؤال وطبيعته، ومدى علاقته

وتعلقـه بـالمفعول الأصـلي (الرسـول) فيحقـق الغـرض الأساسـي مـن إبـراز عناصـر المشـهد ويتيح لها المجال الأكبر لتأدية دورها في قوة ووضوح، فيظل الذهن مشغولًا بالفعل ومتطلباتـه، ويـأتي إضـمار الحـديث عـن مناسـك الحـج بقولـه (شـيء) اعتمـادًا على قرينة الحال ثقة في بيان المتلقي ومعرفته بالأساليب ،و تعميمًا للمناسك المختلفة زمنًا ومكانًا وفعلًا بجعلها شيئًا واحدًا متلاحمًا ،ولكونها في الحقيقة تصب في النهاية في بوتقة عمل واحد ألا وهو الحج ، رغم تعدد الزمان والمكان والأفعال هو في النهاية عمل واحد عظيم ، وحتى يوجز الصورة من جميع جوانبها ساق التضاد في (قدم، أخر)إيجازًا وشمولًا للتباين في الأفعال ، وأيضًا رمزية سيميائية إلى اختلاف وتباين الفهم البشري في تفسير الأحكام ،وفي تطبيقها كل حسب رؤاه واجتهاده الفكري والعلمي ، وإيثار المتكلم للفعل(قال) هنا دون (رد) أو (أجاب) ؛ لما فيه من رمزية الدلالة على نص الملفوظ حتى لا يتوهم غيره ، وللرمز إلى مجرد النقل من المتحدث وأمانته فيه، بإصابة المعنى تحديدًا للمقول المسوق في قوله(افعل ولا حرج) بل و آثر (الفعل)هنا على (العمل)؛ رمزية للأثر من قبول الفعل ؛ "لأن الفعل لفظ عام عن إيجاد الأثر في الشيء من غير بطء ...أما العمل فهو إيجاد الأثر في الشيء مع امتداد الزمان" [1]. رمزية إلى مراعاة الرسول للبعد الزمني الواقع فيه الفعل (مدة الحج).

والحرج في اللغة: المكان الضيق الكثير الشجر لا تصل إليه الراعية. [2] والضيق والإثم والحرام ،وهنا تتبدى سيميائية الصورة ورمزيتها الكنائية بالحرص على إزالة ما يؤدي إلى المشاق الجسمية والنفسية ،وكأن الحكم الشرعي بالسماح بالفعل يشبه إخراج الشيء من مكان ضيق ملتف الشجر، رمزية إلى الرفق والحرص على

[1]) الفروق في اللغة صـ١٢٧.

[2]) القاموس المحيط مادة (حرج).

العبد المسلم، وتلك خصوصية الكناية لما فيها من احتمالية المعنى الحقيقي والمجازي معًا.

ولربما يقول قائل يمكن أن يصاغ أسلوب القصر بـ(إنما) هنا بديلًا عن النفي والاستثناء ، فيجوز أن نقول : إنما يقول الرسول للسائل : افعل ولا حرج لمن سأل عن تقديم منسك من مناسك الحج أو أخر، وهنا يتبدى ضياع الإيجاز في هذا التركيب البديل ، فالجمل مطولة تركيبًا، بل يظهر فيها الأسلوب الهادئ بما لا يتناسب مع قوة الحدث من تصويب للفعل أو إقرار عليه، وبما لا يتناسب مع الصراع الداخلي للحجاج المسلمين الواقعين في الفعل ، فضلًا عن التعريض بغباء السائلين عن الفعل وكأنه ما ينبغي أن يقع منهم هذا السؤال ، وكل ذلك مما لم يكن بأصل الخبر بوجه من الوجوه، كما في استعمال (إنما) إظهار جانب الاستهانة بهم من قِبَل الرسول– تنزهت أخلاقه الشريفة عن فعل ذلك– وهو بالناس رؤوف رحيم.

٣- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ عَنْ أَخِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ **مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ**...)[١]

ورد القصر بالنفي والاستثناء في سياق المفاضلة بين رواة الحديث النبوي الشريف وأيهم أكثر رواية له عن غيره ،والعلم برواية أبي هريرة للحديث أمر معلوم للمخاطبين – إذ كان أحفظ أصحاب الرسول ويحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار ،وقد شهد له الرسول بأنه حريص على العلم والحديث [٢] – لكن نزل

[١] صحيح البخاري برقم(١١٣).

[٢] المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوري ،دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م/١٤١١هـ .

المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب، هو تبكيت المخاطبين وعدم إعمال فكرهم لاعتقادهم أن أبا هريرة يتساوى مع غيره من الرواة في عدد الأحاديث المروية فأراد تصحيح هذا الاعتقاد بجعله مجهولًا منذ بداية العلم بالخبر، وكأنهم باعتقادهم ذا يجهلون روايته مطلقًا للحديث، " فالاستثناء منقطع ،إذ التقدير : ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثًا عنه مني إلا الذي كان من عبدالله وهو الكتابة لم يكن مني"[١]. فأنا أختص بالرواية والسماع والحفظ، بينما يختص عبدالله بن عمرو بالكتابة والتسجيل ، وهنا تظهر رمزية احتياج العلوم إلى حافظ واعٍ ومدون أمين ، وكلاهما يلتقيان في خدمة العلم وأهله. وفيه أيضًا رمزية اجتماعية بالحث والحض على تعلم المخاطبين كتابة الحديث ، والإسراع فيه حتى يفاضلوا عبد الله بن عمرو ، وهو الصحابي الجليل. وتتجلى الرمزية الاجتماعية هنا في المفاضلة البشرية العلمية بين أبناء المجتمع الواحد وأنها يجب أن تتم بناء على الموضوعية والنزاهة عن الغايات ، وأن شرف هذه المفاضلة يسمو بشرف المفاضل فيه(الحديث النبوي)،وأن اختلاف وتعدد وجهات النظر في الأحكام الظاهرية ،متى تطلبت تصحيحًا وتوجيهًا وجب فعله ، والقصر حقيقي تحقيقي في الواقع الإنساني فقد أجمع المحدثون على أن أبا هريرة أكثر الصحابة رواية للحديث ، وقصر تعيين بالنسبة لفكر المخاطبين الذين يعتقدون التساوي بين المفاضل بينهما.

وسيميائية التركيب والدلالة تشهد ببراعة أبي هريرة الأسلوبية حين بنى أول الجملة على كلمة (من) التبعيضية (ما من أصحاب النبي) حتى يدرك السامعون أنه لا يُفَضِل نفسه على مجمل صحابة النبي في العموم ؛ وإنما على البعض وبوجه مخصوص هو كثرة الرواية(أكثر حديثًا)، ولإظهار سبق التعظيم والإجلال لهم لم يرد في تركيبه تقديم كلمة (أحد) علي (من) : ما أحد من أصحاب النبي ، لإخراج مقدار

---

[١]) فتح الباري :ج١/ ٢٤٩.

المكنون في نفسه تجاههم للسامعين ؛ فهم ليسوا أي أحد ، وحتى لا تقع معارضة عارض بادرهم وباغتهم بالاستثناء (إلا ما كان من عبد الله بن عمرو)، تنبيهًا للمخاطبين لمراجعة معلوماتهم وأنفسهم في الحقيقة المقررة قبل الاستثناء ،فإذا ما انتفى ما قبله ثبت ما بعده. وكأن الاستثناء أداة إعلامية حازمة في تقرير المفضول، لتهيئة السمع والعقل معًا لقبول الخبر. والتعبير بالموصول الحرفي (ما) هنا رمزية لتعظيم المسند في نفس المتلقي (ما كان) ، و ورمزية بناء المسند إليه على التعريف بالعَلَمية (عبد الله بن عمرو) لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختصبه[1]ولتمييزه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؛حتى لا يتوهم العقل نسبة الفعل إليه ،ولذكره أثر كبير في استدعاء كل ما يحمله المخاطب تجاهه من تقدير[2]، ورمزية التعيين هنا للتعليم حتى ينهج السامعون ذلك المنهج في مخاطباتهم الحياتية. بل ويظهر من خلالها مقدار الحرص الداخلي على إزالة ما يؤدي إلى اللبس.

وتظهر دقة المتحدث الشخصية في تحديد وجه المفاضلة حين بنى الجملة التالية على التضاد البديعي بقوله (فإنه يكتب ولا أكتب) لإبراز مقدار التباين في الأدوات والإمكانيات بينهما ،واستعراضها بالذهن المفكر المستنبط بالإثبات والنفي ، فمتى استقر معنى منهما ثبت ضده للآخر في الذهن فيدرك أسباب المفاضلة عقليًا وعلميًا.

ولو استعملت (إنما) هنا بديلًا حواريًا افتراضيًا عن النفي والاستثناء فقيل : ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثا مني إنما كان عبد الله بن عمرو يكتب ولا أكتب، لكان الخبر بتنزيل المخاطبين منزلة من يعلم الخبر ولا يعملون بمقتضاه، أي في المجهول الذي ينزل منزلة المعلوم ؛ لوضوحه واستغنائه عن الذكر، ويظهر من

[1]) الإيضاح مع البغية : ج١/ ٧٨.

[2]) بلاغة الكلمة والجملة والجمل : صـ٥٦.

التبديل إرادة تنبيههم على ما يجب عليهم من حق الأخذ عن عبد الله بن عمرو ، وترك ما عداه من الرواة ،وهذا ما لم يكن بحال من الأحوال ،كما يظهر فيه التعارض الخبري بين مضمون أوله وآخره ،إذ كيف له أن يكون أكثر الرواة ثم يطلب من المخاطبين الأخذ عمن سواه ؟! ، بل يبدو من استعمال (إنما) التعريض بنفسه وبحاله من حيث لم يكن كاتبًا للحديث، والتعريض بغيره من الرواة ممن لا يكتبون أيضًا ، وهذا لا يصح لا عقلا ولا زمنًا ،إذ لا يعقل ذلك لأنه لم يتعلم قواعد القراءة والكتابة في تلك الحقبة إلا قلة معدودة

وهكذا كان النفي والاستثناء أولى بالمقام وأدعى في إيصال المرام.

٤- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ **لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ**...)[1]

ورد القصر بالنفي والاستثناء في سياق التعليم النبوي للأمة في شأن يومي متكرر الوجود واللزوم ؛ ألا وهو النوم، يُظهر من خلاله العبد التسليم المطلق بقدرة الله وجلاله وسلطانه، وانقياد المسلم لله أمر معلوم لا يجهله أحد، وخاصة المخاطبين وهم الصحابة حينئذ يمثلهم شخص معاذ بن جبل الذي خاطبه الرسول بهذا الأسلوب ، ولكن لما كان النوم يوقع على العبد غياب الحواس وانقطاع العقل ، وانقطاع الذكر والعمل لله ، كان حينها المسلم كمن يجعل للنوم سلطانًا عليه، ومتمكنًا منه، وكأنه حينئذ لم يعمل بمقتضى علمه السابق عليه وقد جهل في دينه أمرًا جللًا ، هو خضوع النوم نفسه لحكم الله وسلطانه وأنه جند من جنود الله ، فنزل لذلك الخبر منزلة المجهول ،وساقه بطريق القصر بالنفي والاستثناء قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا لإبراز قوة الشعور بالمعنى وعمق الإحساس به بطرح أي تسليم وانقياد لغير الله ،ولكونه

[1]) أخرجه البخاري تحت رقم (٢٤٧).

مظهرًا من مظاهر العناية بالفكرة والحفاوة بها، وفيه رمزية الاعتراف المتجدد بكمال قدرة الله والخضوع لها خضوعًا إراديًا وجبريًا، والاعتراف بكمال علمه المطلق.

وباستعراض تركيبية القصر الدلالية نقف على رمزية الجرس الموسيقي بالجناس والسجع بين الكلمتين (ملجأ، منجى) مما يؤكد مناجاة العقل والنفس قبل اللفظ ،فالإنسان بطبيعته عند الأحزان يتغنى تسلية لنفسه وتنفيسًا لهمه ، ويتجمل في الكلام عند مخاطبة كبير منصب ، أو عظيم شأن فما باله وهو يناجي ربه ؛ العلي الجليل ؛ مما دفعه أن يستدعي في مناجاته أسباب التذلل والتقرب إلى الله حتى في لفظه، إذ اللفظ خدم للمعنى ، لإبراز مدى حاجته ،وحرصه على تلبيتها ، فالملجأ اضطرار من العبد بالاعتراف بالذنب، و المنجى اختيار من الرب بالعفو عنه ، ولذا كان إيثار لفظة(ملجأ) دون المأوى لأن المأوى يراد بها العود والإنزال والسكن والاستقرار وهذه صفات ترمز إلى المكان، وهذه ليست من مرامي التعبير الحقيقية ، وإنما يراد به مضامين القصد إليه والاحتماء من الخطر، والتحصن بالشيء ، والتعضد والاعتصام به والهروب إليه والتفويض والإسناد، وهي سيميائية تصويرية رمزية للبعد النفسي والاحتياج الاضطراري المكنون للخلاص من الذنوب ، بتصوير الحاجة النفسية الملحة للاعتصام بالله الخالق يدفع المؤمن إلى مكان يلجأ إليه الخائف من فزع يحتمي به، إخراجًا للمعنوي في صورة حسية. وكأن المسلم عند نومه يستدعي قوة الخالق في إبعاد شبح العقوبة على الذنوب، والمؤاخذة عليها، فمتى استقر في الوجدان يقين الاعتصام بالله نامت القلوب مطمئنة قبل العيون اعتمادًا على عفو الله وحفظه، وهنا تتبدى رمزية اليقين الإيماني صرحًا عاليًا وحصنًا مهيبًا يأوي إليه المؤمن كل يوم استعارة تصريحية للحماية والحفظ من العذاب والأخذ بالذنوب و الآثام ، ثم يواصل الرسول درسه التعليمي للمسلمين في الجملة التالية مراعيًا البعد الموسيقي والانسجام الصوتي مع الدلالي بين الجملتين المتتاليتين، فالمنجى مكان

النجاة وما ارتفع من الأرض [١] .وفيه رمزية السلامة والخلاص والانتزاع من الخطر أو الغرق، فيشبه التضرع إلى الله الذي يسمو بصاحبه فوق الذنوب والمعاصي والملمات بارتفاع عن الأرض يطلبه الناجي بعدًا عن الغرق ، إذ بالدعاء يرتفع البلاء ويأتي الخلاص، أيضأ استعارة تصريحية للسمو الإلهي والعفو عن الذنوب عند الموت، والكلمة تورية بديعة إذ تحتمل معنيين؛ معنى النجاة القريب، ومعنى النجوى البعيد ، فكأن المؤمن يرتفع بإيمانه الغالب عن مستوى الضعف البشري الذي يسقطه في المعاصي، فيغلب الإيمان ما عداه فيسمو حينئذ عن تلك المعاصي .

قال الكرماني "هذان اللفظان إن كانا مصدرين يتنازعان في منك، وإن كانا ظرفين فلا. إذ اسم المكان لا يعمل وتقديره : لا ملجأ منك إلى أحد إلا إليك ولا منجى منك إلا إليك ".[٢] وعليه فالجملتان فيهما إيجاز بالحذف ، لأنه في مقام النوم يتطلب الخطاب مع الله تعدد الحاجات والرغبات الملحة خوفًا من الموت فتتوالى على اللسان ذكرًا وتصريحًا سريعًا، بينما قدرة الله الناجزة تشمل وتلبي جميع المطلوبات بأمر واحد هو (كن فيكون)، والقصر فيهما رمزية لإبعاد أي أسباب بشرية للسلامة أو التعلق بها عند الدعاء إلى الله ، حتى ولو كانت الأعمال الصالحة، فلن يدخل أحد بعمله إلى الجنة ؛وإنما بفضل الله وكرمه ، فهنا تظهر رمزية الافتقار إلى فضل الله ،الذي فيه النجاة وإليه الالتجاء، أو بمعنى آخر هو حسن التعلق بالله وحسن الظن به.

وفي الجمع بينهما كمال حاجة وكمال عون، معادلة نفسية وجسدية للاحتياجات البشرية السائدة،

---

[١] لسان العرب مادة (نجو).

[٢] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري :: شمس الدين الكرماني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨١م، ج ٣/ ١٠٧.

ولذا كان استعمال الاسم دالًا على تمكن الصفة في صاحبها وثبوتها فيه ورسوخ صاحبها في هذا الوصف[1]. بخلاف قولنا : نلجأ إليك ،وأنت تنجينا فإنه لا يدل على ذلك ،بل يدل على أنه آخذ في سبيل النجاة والالتجاء ، وذلك مما لا يجوز على الله الذي هو دائم وثابت في الالتجاء والتنجية، كما قيل: إن المصدر الميمي متلبس بذات غالبًا هذا من ناحية ،ومن ناحية ثانية في كثير من التعبير يحمل معنى لا يحمله المصدر غير الميمي ، فإذا قيل : مصير الخشب رماد، أي نهاية أمره ،ومثله (المآب) و(الإياب) فإن المآب يعني نهاية الأوب ، وأما الإياب فإنه الرجوع ،ولا يعني منتهى الأوب...[2] وهكذا دلت الصيغة الصرفية في كلمتي (ملجأ ومنجى) على خصوصية معنى ، ألا وهي الرمزية إلى نهاية الله في الصفتين، وبدلالة نفي الجنس السابق عليه ، ثم مجيء الاستثناء توكيد للصفة .

وتظهر سيميائية التضاد المعنوي في استعمال حرفي الجر(منك)و(إليك) حيث كانت الأولى لابتداء الغاية والثانية لانتهاء الغاية ،وفيهما رمزية بداية الخلق بالإيجاد، وانتهاء الخلق بالممات ،فضلًا عما في التعبيرين من الإيجاز لكثير من مضامين الجمل اقتضاه واقع الزمن والحال.

ولو تم استبدال القصر بالنفي والاستثناء في التعبير بالقصر ب(إنما) فقيل : إنما أنت الملجأ والمنجى، لظهر حينها سوء أدب العبد مع الله ،إذ يتحول من التضرع إلى العتاب واللوم وكأن الله –سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا –لم يعمل بمقتضى علمه بلجوء العبد إليه ومناجاته ،وهذا فيه من التطاول ونقص العبودية والتجافي ما لا يوصف بتعبير؛ لذا كان النفي والاستثناء أدعى بالمقام وأظهر في كمال العبودية لله.

---

[1]) معاني الأبنية : صـ١٤.

[2]) المصدر نفسه صـ٣٢.

٥-حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ فَقِيلَ لَهُ **إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا** فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ...)[١]

وقع القصر بالنفي والاستثناء في هذا الحديث في جملة(إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختوما) في سياق الحديث عن الرسائل التي أرسلها الرسول للملوك في نشر دعوته، وأحوال الأمم حينها مع العلوم والمعارف، ومضمون الخبر مجهول لدى النبي صلى الله عليه وسلم ،حيث لم يكن يعلم باتخاذ الخاتم من قبل الملوك المعاصرين له ؛ لذا اقتضى المقام النفي والاستثناء تركيبًا دلاليًا اجتماعيًا ، رمزية إلى محو الأمية واستبدالها بمجتمع متعلم يعي مستجدات العصر ويأمن مكر الأمم به ، ويستنهض أمته بأسباب العلوم المختلفة ،وفي التعبير النبوي عدة رموز كنائية ، **أولها :** علم هذه الأمم المرسل إليها تلك الرسائل قواعد القراءة والكتابة، مما يقتضي تطورها وثقافتها ونفي أميتها بل ويستدعي طريقة عرض خاصة في الحوار من المتعاملين معها ، وهذا مفهوم جملة (لا يقرءون كتابا)، فالقراءة هنا مفردة تلقي بظلالها في الخيال حينما يوجه إليها ،وحينما تستدعي صورة مدلولها الحسي، فهي بالضرورة تستلزم الكتابة وأدواتها ،فلا يوجد قارئ غير كاتب أو كاتب غير قارئ، فكلاهما لازم للآخر، بل هي كناية رمزية عن الإقرار والاعتراف بمضمون الرسائل متى تحقق لديهم الختم الممهورة به الرسالة ، وما عدا ذلك فلا يقع منهم إقرار له ،ورمزية الوزن الصرفي (كتاب) ولم يقل (كتابة)لأن العرب تجعل الكتاب مصدرًا للفعل كتب فإذا أرادت الصناعة تقول الكتابة[٢]. ومن كانت الدقة السيميائية للمتكلم في الوصف فهؤلاء القوم

---

[١] صحيح البخاري رقم (٦٥) كتاب العلم بالبلدان .

[٢] معاني الأبنية صـ٢١.

وصفهم ثابت للفعل ،ولكنهم ليسوا أصحاب صناعة متميزة فيها ، **وثاني هذه الرموز** : وهو مضمون جملة (إلا خاتما) وهو الاتفاق البيني(الاجتماعي) على تخصيص علامة كتابية معتمدة بين فئة اجتماعية معينة، يثقون فيها ويتداولونها دليلًا على شخصية الكاتب وصدق محتوى المكتوب، وهو ما يتعامل به الأفراد العاملون في الإدارات الحكومية المختلفة ،أو ما يعرف بالشعار أو الختم المعتمد ،لذا أوثر هنا الختم دون ؛لأن الرسم إظهار الأثر في الشيء ليكون علامة فيه، بينما الختم ينبئ عن إتمام الشيء وقطع فعله وعمله... لأنه يقع بعد الفراغ منه [1] **وثالث الرموز** المشار إليها في أسلوب القصر هنا: الحث والتشجيع على تنفيذ مضمون الخبر بالعمل بمقتضاه بالاتباع المسنون. وهذا ما أكدته الجملة التالية بعد القصر(فاتخذ خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله)من دلالة الفاء على سرعة الفعل وتعقيبه . بل وفي جملة القصر دلالة اجتماعية رمزية هي تدبير وتجديد المجتمع المسلم لشؤون دنياه كل حسب ما تقتضيه الأحوال والمقامات بتتابع الأزمان واختلاف المكان بما يتفق مع حدود الشرع.

والقصر حقيقي تحقيقي ، لمطابقته الواقع الفعلي للأمم المحكي عنها الخبر، وبالنسبة للمخاطب قصر تعيين وتحديد لمن يعتقد جواز الفعل(اتخاذ الخاتم)، وعدمه(ترك اتخاذ الخاتم) .

ولو استبدل التركيب بالقصر بالنفي والاستثناء ووضعت (إنما) عوضًا ؛ لفات على الأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهذه المباغتة بالاستثناء (إلا)وما لها من تأثير فعال في نفس المخاطب من تنبيه المدارك وصولًا للإقناع بالفكرة المطروحة، حيث كان أول الجملة موحيًا بعدم معرفتهم القراءة ثم جاء ما بعد(إلا) لتوكيد إجادتهم

---

[1]) الفروق صـ٦٣.

القراءة والثقافة، ثناء عليهم ،وتوجيهًا نبويًا إلى الاحتذاء بهم في ذلك ، فمتى كانت هذه الأمم وهي كافرة تجيد شيئًا حياتيًا نافعًا فمن باب أولى بالمسلمين أن يجيدوه أيضًا، وفي استعمال (إنما) دلالة على كون الأمر معلومًا من قبل لدى الرسول – صلى الله عليه وسلم– ،وهذا مما ينافي الواقع النبوي الشريف ، بتصحيح موجه من الحاضرين بالتنصيص الصريح في جملة :(فقيل له)، بل وربما يفهم من (إنما) أن فيها تعريضًا بالتأخير في اتخاذ القرار و بعدم العمل به منذ بداية الدعوة ،وهذا أيضًا مما ينافي الواقع من المخبرين بالجملة ، ومما لا يصح أن يقع من صحابة رسول الله مع رسولهم الذي يوقرونه ويعظمونه ويثقون في حكمته وقراره وعلمه، ولذا لم يصح للنفي والاستثناء بديل حواري أوقولي.

المبحث الرابع:

السيميائية والتركيب البلاغي للقصر بالنفي والاستثناء في سياق الأحكام الفقهية و كيفيتها.

١- قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَكِنْ عُرْوَةُ يُحَدِّثُ عَنْ حُمْرَانَ فَلَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ قَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَة في كتاب الله مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ** ...)[١]

ورد القصر بالنفي والاستثناء في سياق يدعو للحرص على إسباغ الوضوء وإحسان الصلاة وملازمتهما ، وفضل ذلك في محو الذنوب، والتطهير الآني والأولي لها أولًا بأول، والقصر حقيقي ادعائي؛ لوجود مسببات أخر لتكفير الذنوب مثل الصدقات والذكر والصبر والصيام إلى غير ذلك مما هو وارد في السنة النبوية، ولكن تظهر رمزية القصر هنا في إفراده سببًا ؛ وكأن ما عداه لا يساويه ذكرًا وشأوًا ، والخبر هنا مجهول بدلالة السياق السابق له(ألا أحدثكم....)فجاء بهذا الطريق القوي الحاد ؛لأن المخاطبين لا يتوقعون غفران الذنوب بهذه السرعة الزمنية ، كما لا يتخيلون زوالها بعمل هو من الفرائض المحتومة المقررة عليهم وجوبًا، كما لم يدر بخلدهم مقدار لطف و رحمة الله بعباده المؤمنين، ثم إن مسألة تردد المخاطبين يعني أن ندرك أن المخاطبين هنا ليسوا جماعة معينة تتردد في القبول، وإنما هو أشبه

[١]) صحيح البخاري رقم (١٦٠) باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا.

بوعي الجماعة ،وكأنه يرمز لهذا المحيط البشري الذي يتحدث إليه الرسول عبر توالي الأحقاب المختلفة ممن يتلقون الخبر في زمانه وغير زمانه.[١]

فقد غلب على عامتهم تعدد الذنوب وتراكم العقوبة عليها ، فجاء القصر رمزية إلى نفحات الله المهداة لهم ،ورمزية إلى أن القرب من الله سبب في محوها ؛وأنه سبب للتطهير الروحي والجسدي في آن واحد.

وباستعراض سيميائية التركيب الدلالية يحبذ استعمال النفي بـ(لا) النافية مع الفعل المضارع ،دون (ما) ؛لأن (ما) تخلص المضارع للحال ،و(لا) تخلصه للاستقبال.[٢] فتعد الكلمة رمزية للمستقبل الفعلي للوضوء مع المسلمين عبر أعمارهم القادمة بل وعبر الأجيال كلها سابقها ولاحقها، ورمزية للممارسة الفعلية دلالة على مدى الاعتياد والتعلق بها ، وبدلالة تركيز الأسلوب على الفعل المضارع (يتوضأ، يحسن، يصلي) ، حيث لم يقل (توضأ ،أحسن، صلى) ، رمزية فعلية على التجدد والتكرار والاستمرار للدلالة إلى حدوثه شيئًا بعد شيء وحالًا بعد حال ، وكأن السامع محاضر تلك الحال يشاهدها رأي العين يشاهدها خطوة خطوة ترتيبًا ووجودًا ، مما يناسب الثواب الموعود به عليها، بل وفيها رمزية لكون الفعل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها ،ورمزية إلى جلال قيمة هذا الأفعال في أوقاتها المفروضة ورمزية الثبات عليها.

وتتجلى الرمزية الاجتماعية في أبهى صورها في التعبير بالتغليب الجمعي (رجل) فليس المقام مقام تفاضل وتمايز في الحكم لجنس على آخر؛ وإنما هو رمزية العموم كما هو عادة العرب في ستر النساء عن الحديث العام ، بجعل بعض المفاهيم

---

[١] بتصرف : دلالات التراكيب صـ١٣٠.

[٢] الكتاب : سيبويه ، تـح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ،ط ثالثة ، ١٤٠٨هـ م١٩٨٨م، ج/٤/ صـ٢٢٢.

تابعة لبعض داخلة تحت حكمه في التعبير عنها بعبارة مخصوصة للمغلب بحسب الوضع الشخصي أو النوعي، ورمزية اجتماعية إلى مهمة الرجل الاجتماعية بين أسرته المسلمة(القَيِّم الأُسَرِي) رمزية داخلية تذكيرية بما على كاهله من مهام منوطة به وبدوره كقائد يقود الأسرة ويوجهها يمارسها في قيادة الأسرة نحو الجنة.

ونسبة الإحسان إلى الوضوء بإضافة الكلمة لضمير المخاطب ترمز إلى خصوصية الفعل والفاعل ومدى الارتباط الكائن بينهما ؛حتى أصبح الوضوء ملكية خاصة يعتني بها صاحبها، ويحافظ عليها من الضياع، وفي مقابل هذه الرمزية كانت رمزية الشمول والاستغراق بالتعبير في الصلاة بالجنس حتى يسهل على المتلقي أيا كان موقعه وعصره وثقافته أن يعيش التجربة كما هي (يصلي الصلاة) وحتى يستقر في نفسه أن الكلمة تستغرق المفروضة والنافلة منها جميعًا على قدم المساواة؛ فليست عنايته بالفرض وحده وإنما عنايته بجنس صلواته ندب ووجوب .وهي في حد ذاتها رمزية للقرب والتواصل الدائم مع الخالق على مدار الزمان والمكان.

وقد كان يمكن للتعبير أن يوجز فيقال : لا يصلي رجل الصلاة، فالمؤمن يعلم أنه لا صلاة بلا وضوء ؛ لكن في تفصيل الصورة من جوانبها الفعلية دقائق معنية بالذات(الوضوء) ثم إحسانه فيه ، ثم الصلاة بعده رمزية إلى نشاط وهمة العبد في الفعل ،ورمزية إلى أن المحسن في وضوئه محسن في صلاته أو بعبارة أدق أن حسن الابتداء في نية الوضوء يقع كما يقع حسن الانتهاء منه في الصلاة، وفيها رمزية تعدد العمل بتعدد الأوقات مما يستحق عليه الثواب المقرر من الله، وإظهار تقدير الله لهذه الأعمال المتواترة رغم كونها تصب في عمل واحد (الصلاة) .

وبعد هذه المقدمة من الأفعال تأتي (إلا) الاستثنائية لاستثناء الجائزة المنتظرة من التوقع أو الظن ؛ بالمفاجأة في الحدث والزمان، إنها المغفرة ، التي تستلزم الرضا؛ فالغفران يقتضي المحو والمحو يقتضي المحبة والمحبة تقتضي الرضا ،

والرضا يقتضي الإحسان ،والإحسان يقتضي الستر ،والستر يقتضي المغفرة، فكل هذه المراحل الفعلية أوجزتها رمزية الفعل الماضي المتحقق الوقوع (غفر له) إذ لم يقل التعبير (يغفر له) بالفعل المضارع – وإن ناسب ذلك في الظاهر سياق الأفعال المتقدمة– لكن مجيء الماضي أدخل وأدل على الإنجاز، فقد تم الوقوع له حتى قبل الطلب فيتوكد الخبر في النفس أوقع توكيد لكونه قد وقع وأنجز، فلا يجد الظن إليهم سبيلًا، فهم المحسنون للوضوء ،المقيمون للصلاة ،فماذا يتوقع لهم من ثواب وأجر، ربما توقع الذهن مضاعفة الأجر أو علو مكانة أو زيادة رزق ؛ لكن المفاجأة كانت غير متوقعة حتى في زمن الفعل ، وكأنه معهم منذ نشأتهم وولادتهم.

وتتجلى رمزية التركيب في جملة(ما بينه وبين الصلاة) بالتعبير بالموصول الحرفي عن مجمل الذنوب ، وترجع روعته إلى ما يكتنف دلالته من الغموض فجائز أن يكون الذنب صغيرًا، وجائز أن يكون كبيرًا، كل يتلقاه حسب فعله للذنب وتقديره الشخصي له ، وهي في الوقت نفسه رمزية إلى بناء الإسلام على ستر العيوب والنقائص ، والتعبير بالبينية (بينه وبين الصلاة) رمزية حسية للذنب الواقع وللزمن القائم فيه ، وقد تحول المعنوي إلى جسم مانع يحول ويدفع المسلم عن دخول الجنة ؛ وكأن الفرقة الواقعة بالذنوب من العبد قد استحالت إلى صورة وهيئة جسمية باعدت بينه وبين الله ، ثم تأتي الصلاة لدفع ذلك الحائل واستبعاده من الوجود واسترجاع الصلة المباشرة بينهما. وهكذا رامت رمزية التركيب في بنيته الدلالية مقاصد يقف عليها دارسو اللغة لمعرفة مضامينها الخفية أو ما يعرف بالسيميائية كما يحبون أن يطلقوا.

٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ **مَا كَانَ لِإِحْدَانَا إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ تَحِيضُ فِيهِ فَإِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ قَالَتْ بِرِيقِهَا فَقَصَعَتْهُ بِظُفْرِهَا** [1]

ورد القصر بالنفي والاستثناء هنا في سياق تتحدث فيه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها وأرضاها– عن بساطة الحياة الاجتماعية المعيشية للرسول وزوجاته، وعدم تكلفهن في أمور الحياة ما يقع مما سواهن من النساء ،حيث كان لبعضهن ثوب واحد، ويعشن في رضا ولم يتضجرن من شظف العيش، وكيف كن يتعاملن مع الأمور الفقهية الخاصة بهن، وخاصة عند الهجرة وتضييق الكفار على المسلمين بسلب الأموال ، ولما كان هذا الخبر مجهولًا لدى السامعين سواء كانوا في واقعهم الزمني أو في واقعنا الحاضر أو القادم ،لاختصاصه بأمر معيشي نسائي فلا يتعلق به الذهن ، كما أنه من شأن النفوس أن تتصور خلافه؛ لكونهن أزواج النبي، فيقع في النفس امتلاكهن الملابس أكثر من غيرهن، فتأتي اللغة الحوارية بالنفي والاستثناء لحسم وإبعاد أي تصور مخالف للواقع الحياتي الاجتماعي، والقصر هنا حقيقي تحقيقي لمطابقته الواقع الفعلي المخبر عنه ، لأنه في أول الدعوة بالتوحيد وحتى انطلاقها كانت الحياة فيها شح بالنسبة لعامة المسلمين ، لكن لما توسعت الأمور وفتحت الفتوح توسع الناس وعددوا الثياب ، والقصر قصر قلب لمن توقع عكس هذا الخبر، إجلالًا لمكانتهن ونسبهن وقيمتهن، وفي القصر هنا رمزية سيميائية اجتماعية(صورة الزوجة الصابرة على ظروف الزوج المعيشية ، والرضا والتوافق الزوجي ، وصورة الفقر المعيشي مع الغنى النفسي والإيماني، والتسامي عن أعراض الدنيا الزائلة).

[1]) صحيح البخاري رقم (٣١٢) باب هل تصلي المرأة في ثوب حاضت فيه.

وعند استعراض السيميائية التركيبية لجملة القصر نقف عند رمزية جملة(ما كان لإحدانا) وما فيها من رمزية المساواة بين نساء النبي قيمة ومكانة وحقوقًا ، حيث لم تتميز واحدة منهن على الأخريات في شيء، بل تبرز هذه الجملة مقدار إحساسهن الداخلي بالاتحاد بهذه المساواة في النسب والأصل وكل شيء ؛ ما دمن تحت كنف النبي وأمومة المسلمين ، مما يستتبع أيضًا رمزية مدح النبي بعدله بين نسائه وحسن تبعله لهن، ويبدو هذا واضحًا جليًا من التعبير بالضمير الجمعي (إحدانا)، الموحي بالتوحد الشكلي والنفسي، وقد كان يمكن أن يصاغ التعبير بطريقة بديلة فيقال : لم تملك إحدانا إلا ثوبًا واحدًا ، وكانت تفي هذه الجملة بالإيحاء بالفقر الواقعي ؛ لكن تأتي الدقة الدلالية الوصفية في التعبير الدال من السيدة عائشة، وكأنها تقول : لم يحق لنا، ولم يجز لنا نساء النبي أن نعيش في رغد ونساء المؤمنين يعانين قسوة الحياة، وهي رمزية للمشاركة الحقيقية للمجتمع المسلم سلمًا وحربًا ، غنى وفقرًا. فضلا عن التثبت بزيادة الصفة بعد كلمة (ثوب) فقالت(واحد) لإزالة ما يمكن أن يراود النفوس من مبالغة أو تهويل.

وتقديم الخبر (لإحدانا) في الجملة على اسم (كان) هنا يؤكد حالة الخصوصية للمخبر عنهن، بتخصيص الأمر بهن، حتى تأخذ الكلمة المقدمة كل صلاحياتها وتشغل بها الصدارة الفكرية بفرض إمكاناتها الدلالية في نفس المتلقي، ثم تستكمل الرمزية سريانها الدلالي بمجيء (إلا) الاستثنائية وكأنها رمز للهزة النفسية المتوقعة بعد سماع جملة(ثوب واحد تحيض فيه) لإبعاد الإفراط أو الاعتساف في الخبر، فلا يمكن للخيال ولا النفس أن يرفض مضمون الخبر بعد هذه الزلزلة القوية بالاستثناء، والتي تشير إلى نبض أعلى وانفعال بالحقيقة أقوى[1].متى وقع في روع السامع أن

[1]) بتصرف دلالات التراكيب صـ١٣١.

الملقي للخبر هي السيدة عائشة –وهي من هي – منزلة وإجلالًا ، فيقع من جلالها إلى جلال المضمون الخبري ما يقر به ويثبته .

ولو سيق القصر ب(إنما) بديلًا تعبيريًا فقيل (إنما لإحدانا ثوب واحد تحيض فيه) لأصبح الخبر مجهولًا نزل منزلة المعلوم ، وكأنها ترمي المخاطبين بوضوح الخبر واستغنائه عن التعبير بمضمونه ،والتعريض بنساء كن مثلهن لكن يشتكين الحال والفقر ،والتعريض بعدم صبرهن على تلك الحال ، وهذا المدلول لم يقصد بحال؛ لذا كان النفي والاستثناء سيميائية رمزية عن الفقر الشخصي لنساء النبي في زمن الهجرة.

٣-حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ حَفْصَةَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ أَوْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ حَفْصَةَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَت: **كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا وَلَا نَكْتَحِلَ وَلَا نَتَطَيَّبَ وَلَا نَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ**[1]

جاء القصر بالنفي والاستثناء في سياق تشريعي يخص المرأة المسلمة ؛ألا وهو سياق الحداد على الميت الذي يقع منها موقع القريب أو الحبيب، سياق يحدد المعالم ويبين الوسائل والطرق التنفيذية لأمر شرعي وحياتي ومجتمعي، ولما جاء الإسلام تغييرًا جوهريًا لفاسد عقيدة ،وتغييرًا لمظاهر حياتية واجتماعية أيضًا فاسدة، فقد كان العرب في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ،إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها ،وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها[2]، ولذا فمسألة

[1]) أخرجه البخاري (٣١٣) باب الطيب للمرأة عند غسلها. وفي صحيح مسلم (٩٣٨).
[2]) صحيح البخاري رقم (٤٥٧٩).

العـدة أمـر مجهـول قبـل نـزول القـرآن وتحديـدها مـدة معلومـة ، وهـي أمـر غريـب مستحدث علـى النـاس حينئذ، ولكن لما كانت الكيفية مجهولة التصور الذهني قبل رواية الحديث، فيتوقع اختلاف الناس في أدائها وتنفيذها كل حسب معهوده المجتمعي وثقافته ؛ فجاء الأسلوب بالنفي والاستثناء مرتين(إلا على زوج، إلا ثوب عصب) في الحديث مقررًا ومؤكدًا حتى يتلقاها الذهن بوعي تام ويستحضر مدعاة الحرص عليها والالتزام بصورتها المحكية دون زيادة أو نقصان، وربط بناء الأسلوب بأحوال النفس الإنسانية التي اعتادت التأثير والتحريك القوي للعقل عند المهمات، والقصر حقيقي تحقيقي لكونه في تشريع لا يحتمل الادعاء أو المبالغة بل يقتضي التحقيق ، وقصر تعيين لمن اعتقدت المساواة بين عدة الزوج وبين عدة غيره من الأقرباء، أو اعتقدت التساوي في لبس الأثواب المصبوغة، وتظهر في الأسلوب رمزية نفسية للحزن ومقاديره الباطنية والظاهرية، كما يبرز الأسلوب رمزية اجتماعية هي إعلاء منزلة الزوج بالنسبة للأسرة حتى بعد فقده بالموت، ورمزية الحفاظ على المرأة من طمع الطامعين عند غيابه داخل الكيان المجتمعي.

وباستعراض السيميائية التركيبية الدلالية للجملة نقف عند بناء الفعل للمفعول في جملة (كنا نُنهى أن نحد على ميت فوق ثلاث) لكون الفاعل(وهو الرسول) معلومًا تمامًا، وذكره يعد من فضول الكلام؛ فالفعل مرتبط به فيغني عن ذكره فهو المبلغ للشرع والأحكام، ولأن الذهن متجه للمفعول به فهو الأهم ،فوصف العدة أمر عام لا يختص بزمن دون آخر. وإيثار التصريح بالنهي حيث لم تقل :(كنا لا نحد ...)، لإبراز صورة التغيير الواقع بعد الإسلام عما كان قبله، وفي الدقة التعبيرية بكلمة (نحد) دون (أن نعتد) رمزية للفعل وليس للزمن فهو امتناع عن وجوه الزينة واللباس، ولما في نعتد من معنى الافتعال والتظاهر والتصنع ؛مما لا يتناسب مع الحدث الانفعالي الطبيعي للحزن ،ولما في الحد من مضامين التعيين والتحديد وضرب الموعد

والتوضيح والإلزام والرسم [1] ، وهي سيميائية تصويرية وكأن المرأة في عدتها باتخاذ إجراء للإشعار بالحزن على الميت تقوم بوضع ورسم المعايير الظاهرية كما تقوم الدول برسم الحدود المكانية وتشكيلها حتى لا يخترقها أو يتعداها المعتدون، وكأن المرأة بحدادها الشكلي وامتناعها عن الزينة بذلك تضع حدًا فاصلًا للطامعين أو الراغبين فيها ، بل وتظهر رمزية التعبير بكلمة(فوق ثلاث) ولم تقل : أكثر من ثلاث، رمزية تصويرية حسية للزمن، وكأن العين تعاينه صورة حسية بناء فوق بناء ، عرضًا فوق عرض، وهي رمزية لتقدير أوامر الدين وإعلائها على ما سواها من حزن نفسي أو عرف اجتماعي ، فالشرع يعلو بحكمه فوق كل شيء، وهذه رمزية باطنية بالتعظيم ،و ظاهرية في الملابس وسائر ضروب الزينة، وبعد هذا التوجيه من أم المؤمنين ، وكأن سائلًا قد سأل : أيستوي الزوج بغيره في هذه العدة المحددة شرعًا ؟! (شبه كمال الاتصال) رمزية للإنكار والتعجب من المساواة ، فإذا كانت المرأة عند الطلاق تعتد ثلاثة قروء ؛ فكيف حالها مع الوفاة والوفاء للزوج، وقد وضح الإسلام في غير موضع مكانة الرجل الرفيعة عند المرأة ، ولما كانت السيدة حفصة – أم المؤمنين– قد تنبهت بذكائها الفطري ،وتوقعاتها البشرية إلى ما يكمن في دواخل السامعين من تساؤل ؛ جاء ردها مغنيًا عن السؤال ، مُرضيًا للتوقعات البشرية بفصل جملة القصر عمن سبقها؛ فقالت : إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا، بتحديد جديد للعدة الزوجية، يبرز ويعلي من الاحترام والتقدير للزوج ،حين يجعلها أكثر مدة زمنية للعدة ، وحتى لا يتبادر للذهن أن العدة فقط في الزمن دون الارتباط الخارجي لشكل الزوجة المتوفى عنها زوجها سارعت أم المؤمنين حفصة بعطف ثلاث من الجمل التالية على جملة الاستثناء السابق فقالت:(ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبًا مصبوغا) حتى تربط الأفعال بالزمن العددي ، رمزية لمراعاة النظير فكلها أساليب للزينة ، وفي جمعها

[1]) لسان العرب مادة (حد).

تعداد حصري وتنويه بالذكر ،وهو إطناب للإيضاح بعد الإبهام ؛ليتمكن في النفس فضل تمكن ، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك،[١] وفي الإطناب هنا رمزية تظهر مدى الحرص الداخلي للمتكلم على إيصال المضمون للمتلقيات للخبر حرصًا يستدعي حسن الفهم والاستيعاب للمذكور، والتعبير بالضمير الجمعي في الأفعال (ننهى، نكتحل، نتطيب، نلبس) رمزية للاتحاد والتوافق في الفعل، وعدم الاختلاف في قبوله ، وكأن نساء المسلمين في الفعل على قلب امرأة واحدة تقوم به، ورمزية ضمنية للمتلقيات للخبر على مدار الأزمان والأحقاب حتى يكن ممن يشاركهن في الاستجابة للتشريع والتطبيق فيدخلن معهن في الامتثال للشرع ، ثم تأتي الدقة التوضيحية منها في وصف الثوب بكلمة (مصبوغ) للتخصيص ،فلا يمكن للنفي أن يقع على كل ثوب؛ وإنما هو المصبوغ ،فالعقل يرفض نفي الجنس المفهوم في قولها (ولا نلبس ثوبا) حتى يصل إلى النعت الواقع بعد المنعوت فيقبل ويدرك نفي الجنس حينها حتى يأتي المتكلم بالاستثناء الثاني في قولها (إلا ثوب عصب)[٢] ، وهي رمزية توضح أمانة المتكلم في النقل والتوجيه.

ولو استبدلنا القصر هنا بأسلوب بديل فجعلناه بـ(إنما) فيقال : إنما نحد على الزوج أربعة أشهر وعشرا، وإنما نلبس ثوب عصبٍ، بتنزيل المجهول منزلة المعلوم وكأن النساء قد سبق لهن الفعل نفسه من قبل ؛ ويتجاهلن الاستمرار في الفعل أو الاعتراف به كأمر شرعي ، وهذا مما يتنافى مع الواقع الاجتماعي والفعلي لهن ، بل وفي التعبير ب(إنما) ادعاء كون العدة أمرًا معلومًا لكل أحد ،وهو مما يجعل من الإعلام به تعريضًا بعدم تحققه تهاونًا وتقصيرًا ، وهو ما لم يقع بحال من الأحوال؛ لذا كان النفي والاستثناء ضرورة دلالية وسيميائية تركيبية .

---

[١]) الإيضاح مع البغية : ج٢/ ٣٤٦.

[٢]) ثوب عصب: نوع من الثياب اليمنية يصبغ قبل أن ينسج ،(فتح الباري : ج١/ ٤٩٢) أو المراد ثوب يشد على مكان خروج دم الحيض حتى لا تتلوث به.

٤-حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَوْفٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ قَالَ : كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً وَلَا وَقْعَةَ أَحْلَى عِنْدَ الْمُسَافِرِ مِنْهَا **فَمَا أَيْقَظَنَا إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ ... حَتَّى اسْتَيْقَظَ بِصَوْتِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ شَكَوْا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ قَالَ لَا ضَيْرَ أَوْ لَا يَضِيرُ ارْتَحِلُوا فَارْتَحَلَ فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوَضُوءِ فَتَوَضَّأَ وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاس فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ قَالَ مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ قَالَ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ)**[1].

ورد القصر بالنفي والاستثناء في سياق يروي فيه الراوي فوات صلاة الصبح عليهم ،وفقد الماء للصلاة ،وتشريع التيمم ، و قيل إنهم كانوا راجعين من خيبر ،أو في الحديبية، فساروا أول الليل حتى إذا كان وجه الصبح قريبًا من وقت الفجر نزلوا للاستراحة، فغلبتهم أعينهم فناموا حتى ارتفعت الشمس، ولم يدركوا الفريضة[2]، والقصر هنا حقيقي تحقيقي لمطابقته الواقع الفعلي للحدث ، وقصر قلب للمخاطب و لمن اعتقد قيام الإيقاظ من أحد المسافرين معهم ممن تنبه من النوم قبلهم ، والخبر هنا أمر مجهول لدى عامة المسلمين حتى رواية هذا الحدث، ولما كان الرسول معهم فلا يتخيل العقل وقوع الفعل ، فساق الراوي الأسلوب بطريق النفي والاستثناء قطعًا لأي وهم يجول بخيال أو تبرير يمكن أن يساق ، وتوكيدًا لرمزية بشرية الرسول ومعاناته الجسمية ومشاركته أصحابه فيما أصابهم في أثناء هذا الحدث ، وفي القصر

---

[1]) صحيح البخاري رقم (٣٤٤) باب الصعيد الطيب.

[2]) إرشاد الساري لشرح البخاري : شهاب الدين القسطلاني، دار الكتب العلمية بيروت ،١٩٩٦م،ج٩/ ٣١.

هنا رمزية إلى عموم الطبيعة البشرية التي غلبها التعب من السفر والإرهاق حتى فاتت عليها الصلاة من غير عمد، رمزية للضعف الإنساني في مواطن الحروب والسفر .

وتتجلى سيميائية التركيب بالتصوير هنا في حسن الابتداء بجملة (وقعنا وقعة ،ولا وقعة أحلى عند المسافر منها) باستعمال المفعول المطلق (وقعنا وقعة) تنكيرًا لها وتعظيمًا حتى يتخيل الذهن لها مقدارًا يتناسب مع إبهامها ،ويسبح الخيال في وضع تصور لها ، وتشويقًا إلى ما سيلحق من روايته للحدث، وتصوير النوم بالوقوع استعارة تصريحية استثارة للخيال في تشخيص الإرهاق الجسدي والحاجة إلى الراحة بالوقوع لأسفل الأرض فقدًا للتوازن وعدم القدرة على الثبات، اطمئنانًا واحتياجًا ، بجامع الارتطام وصوت ضرب الشيء في سرعة، ثم تتواصل السيميائية التصويرية في قوله (ولا وقعة أحلى عند المسافر منها) وقد نص على الوقعة مرة أخرى تصريحًا بها ،وقد كان يمكن له إضمارها فيقول (ولا أحلى عند المسافر منها) ولكن يود تدعيم وإمداد الخيال بكنه هذه الوقعة ،وكأنها لعظمتها لا يزال العقل واللسان متعلقًا بذكرها ، ثم تتبدى الصورة البيانية بالاستعارة المكنية؛ لإمداد الخيال بمقدارها بجعل هذه الوقعة أحلى من أي شيء يذاق ،باستعمال أفعل التفضيل وعدم التصريح بالمفضول دلالة على التفاوت والتفاضل الحاصل بأدنى مشاركة في هذه اللحظة، فرغم الاحتياج الجسدي للطعام عند الجوع ؛لكن احتياج المتعب للنوم يتغلب ما عداه، وهذه استعارة مكنية بجعلها مطعومًا بشريًا يستزيد منه الإنسان طاقة وريًا، وتمهيدًا نفسيًا وتمكينًا للمستقبل القولي من المتكلم ؛حتى يتهيأ السامع لاستقبال الفكرة ، وتقييد الجملة بقوله (عند المسافر) إطناب للتتميم ، وتذكير للمتلقي بخصوصية الحدث ،فليست هذه حالهم ولم يكن ذلك ديدنهم ؛لالتماس التعاطف فيما يستقبل من أحداث ،والتحذير من التسرع في الأحكام. وتتواصل السيميائية التصويرية فتأتي الجملة الرئيس من الحوار(فما أيقظنا إلا حر الشمس) بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء لطرح ما عدا

المذكور من الذهن ،ورمزية للحالة المنهكة التي كانوا عليها بعد هذا السفر والاستعداد للقتال بحمل السلاح والمؤن ، وتحديد لمقدار الحاجة الجسدية التي أدخلتهم في غياب الوعي الكلي ،فلم ينتبه منهم أحد إلى حلول وقت الصلاة حتى جاءهم موقظ يوقظهم ويخرجهم من تلك الحال، والقصر هنا رمزية إلى صعوبة الحدث الكائن في نفوسهم، وعدم التفريط في الصلاة منهم إلا بسبب لم يكن يتوقع في خيالهم تأثيره، حتى يقف السامع على ما كان، وأنه لم يكن في مقدورهم تحاشيه أو منعه، بتصوير الحر ولفح الشمس بشخص يستدعي نائمًا من نومه ويطالب باليقظة والانتباه ؛ بالقوة الدافعة لتحقيق اليقظة، وتتبدى الدقة في تخصيص الإضافة (حر الشمس) حيث لم يقل (ضوء الشمس) رمزية إلى مقدار الألم الواقع على أجسامهم ، والتأثير القوي، كناية بعيدة الوسائط عن خروج وقت الصبح،.

ولنا أن نتخيل استبدال أداة القصر ، فيقال : إنما أيقظنا حر الشمس، فيصبح الخبر في تنزيل المعلوم منزلة المجهول ، وكأنهم يستترون منه فعلًا وحدثًا ، حتى يحولونه إلى مجهول و لأوهمت (إنما) التعريض من المتكلم بالبعض الفردي وبوقوع تهاون من القائمين بالأمر داخل الجيش ، وتعمدهم عدم العمل بما وكل لهم من تنبيه البقية عند حلول وقت الصلاة و الخوف على فوات الوقت، وهذا كله ليس من مقصود السياق بحال من الأحوال.

٥-حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفِيلَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ كَذَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ وَاجْعَلُوهُ عَلَى الشَّكِّ الْفِيلَ أَوْ الْقَتْلَ وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي أَلَا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَلَا

وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ **لَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ ...)**[1]

لما فتح الرسول –عليه أفضل الصلاة والسلام– مكة قام فخطب الناس [2]، وورد في الخطبة القصر بالنفي والاستثناء في سياق تعظيم حرمة مكة أرضًا، وحرمة لقطتها مالًا ومتاعًا، لما كان الغالب فيها تعدد الوافدين وتعدد جهاتهم ، وربما أيس ملتقط اللقطة من صاحبها ، وصاحبها من وجدانها ؛ لتفرق الخلق إلى الآفاق البعيدة فربما داخل الملتقط الطمع في تملكها من أول وهلة ، فلا يعرفها، فنهى الرسول عن ذلك وأمر أن لا يأخذها إلا من عرفها. فبدت الرمزية الاجتماعية جلية من السياق بتحريم المجتمع المكي كليًا وجزئيًا ، وحمايته من وجوه الإفساد البشري للبيئة والمال ،ومن باب أولى النفس التي هي أثمن المحميات. وتتجلى تلك الرمزية الاجتماعية في أعلى صورتها حين يحرم نبات مكة الضار(الشوك) والنافع(الشجر) وفي هذه الرمزية الاجتماعية تعظيم المكان تعظيمًا تتبدل فيه الأحكام والأعراف. بل وتبدو الرمزية في الانتظار الكافي والتمهل في الانتفاع بالملتقط مراعاة لحقوق الآخرين الاجتماعية والمالية داخل المجتمع المسلم.

ولما كانت مكة أعظم البلدان اقتضى الحديث عنها إيثار سياق النفي والاستثناء؛ فكما كانت مكة استثناء في الحكم للمكان والزمان كان النفي والاستثناء في أسلوب الدلالة والتركيب سياقًا استثنائيًا رمزيًا إلى المكانة ، ولغة قوية تتناسب مع جلال الموقف (بعد فتح مكة) وتتناسب مع المنزلة والهيبة التي يراد إثباتها في النفوس. هذا وتعظيم وتقديس أرض مكة أمر معلوم متوارث عن الأديان السابقة في مكة إذ في الجاهلية اتخذت مكانتها ووقعت موقعها إجلالًا ومهابة ، ولكن لما فتحت

---

[1]) صحيح البخاري برقم (١١٢).

[2]) فتح الباري : ج٥/ ١٠٥.

مكة للرسول وأحلت له ساعة من الزمن خيف أن يعتقد الناس دوام هذا الأمر ،وإباحة ما كان محرمًا قبل الفتح بتغيير في التعامل مع محرماتها ؛ كما أن تغيير معالم الملة الحنيفية التي نشأت عليها مكة في زمن إبراهيم –عليه السلام – بعبادة الأصنام وترك الوحدانية ردحًا من الزمن حتى بعثة الرسول ، وكأنه قد زالت تلك القدسية المعهودة بتغيير جوهر عقيدة التوحيد ، فنزل هذا المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب هو إظهار الدين الإسلامي كمجدد لهذه المكانة الرفيعة ، وكحافظ للأرواح والممتلكات ، وكأنه المؤسس الأول لهذه المنزلة السامية، بإعادتها إلى أصل العقيدة ، والقصر حقيقي تحقيقي في الواقع ، وقصر قلب لمن يعتقد جواز الفعل ، حيث قصر جواز امتلاك اللقطة على من عرَّفها مدة زمنية حتى يتمكن الفاقد لها من الرجوع إليها واستردادها.

وتتجلى السيميائية التصويرية في أسلوب النفي والاستثناء لتنبيه ذهن المتلقي إلى ما بعد (إلا) تنبيهًا يصم الآذان أولًا ثم العقول ثانيًا، حتى تتوطن في المتلقي مضامين الحصر والتخصيص، وحتى يكتمل التنغيم الصوتي مع المعنوي في مضمون الإنشاد السيميائي ، وسيميائية الوزن الصرفي بإيثار اسم الفاعل من لفظة(منشد)الرباعي من (أنشد) وليس من الثلاثي(نشد)لأن زيادة المبنى من الرباعي تدل على زيادة معنى ؛فهو أفسح معنى للإنشاد وأثبت في الوصف مدة غياب اللقطة، وأدل على حدوث الصفة زمان الحال والاستقبال حتى إيصالها إلى صاحبها، فضلًا عما في مدلولها المعجمي أوثرت على كلمة (ممسك) ، أو (آخذ)، أو (متناول)؛ لما في الإنشاد من مضامين التذكر والإجادة والسؤال والقصد والطلب بكدٍّ، والتعريف والدلالة وارتفاع الصوت، فكانت سيميائية التصوير بالاستعارة التصريحية للمبالغة في التعريف بها، وكأن الملتقط في كثرة سؤاله عن المفقود وإلحاحه على المترددين بمكة

يشبه المنشد الذي ينشد نشيدًا يتغنى به و ما يزال يردده على المسامع، بجامع كثرة المعاودة.

وعند تطبيق سيميائية الدلالة نقف على أسلوب النفي الخبري والمراد به الإنشاء ؛باستعمال (لا) النافية في الجمل الثلاث ،وهي يراد بها في حقيقة مضمونها النهي ، أي : لا تختلوا ولا تعضدوا ولا تلتقطوا ، للمبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال؛ لأنه يحاول إيصال فكرة الالتزام بالنهي وتنفيذ مضمونه بمجرد وصول الخبر وقبل وقوع النهي عنه، فالتركيب البلاغي بهذا الأسلوب يعد أكثر شمولية في الدلالة من غيره ، لتضمنه المعنيين في آن واحد ، النفي مستقبلًا ،والنهي حاضرًا ، لأن من امتنع في الحال والحاضر عن الفعل يلزمه قطعًا انتفاؤه مستقبلًا ، رمزية للحالين معًا ،وفي خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر رمزية دلالية ؛ألا وهي خروج المسلم في فعله المنهي عنه على خلاف ما يقتضيه إسلامه من سلامة المال والأرض.

وكلمة(لا يختلى شوكها) يقال: ختل الشخص ، أي خدعه عن غفلة،[1] وبناء الفعل للمجهول لعدم تخصيص الفاعل ،فالفاعل لم يعين هنا فقد يكون أحد الحجاج الوافدين عليها ،أوقد يكون أحد المقيمين بها، ولو عين لاقتصر على معين، فيتحضر الذهن مشهد الفعل، ولتنصب العناية فيه بمشهد التخلية والتعضيد والالتقاط لبيان هيبة الفعل وأثره، إجلالًا للتحريم الخاص به ، وأعتقد –والله أعلم –أن في إخفاء الفاعل رمزية وجوب إخفاء المذنب والتستر عليه وعدم المجاهرة به مناسبة لمقدار الحرمة المقررة للمكان. وكأنه لا يجرؤ عليه إلا متخف عن العيون ؛ تخفي الآثم عند ارتكابه الآثام ؛ لبيان شعوره النفسي الداخلي بمقدار الجرم المرتكب.

[1]) معجم لسان العرب مادة (ختل).

ومعنى (لا يعضد) أي قطعها بالمعضد ، أي لا يؤخذ ويقطع ليسقط ورق شجرها أو يضرب بالعصا ونحوه ليسقط ورقه،[1] أو قطع الفروع والقضبان العارضة التي تنبت على سوق الشجرة أو على فروعها العظيمة، وإذا كان النهي عن قطع ورق شجرها فمن باب أولى يقع النهي عن قطع الشجرة نفسها ،وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث عبر بالجزء وأراد الكل .رمزية سيميائية إلى أهمية الجزء ومدى تأثير وجوده على الكل المعني في الأصل بالكلام.

ولذا كان البناء الصرفي هنا في (يختلى) على وزن (يفتعل)ما يدل على الاختلاق والتزوير والمبالغة فيه و(يعضد) على وزن (يفعَّل)أي الفعل الشديد و(تلتقط) على وزن (تفتعل) ما يدل على إحكام الفعل مبالغة فيه رمزية سيميائية إلى تضعيف النهي عن الفعل والتشدد في رفضه ونبذه .

وتتبدى رمزية السيمائية الدلالية في لفظة(ساقطتها) حيث لم يقل التركيب (لقطتها) أو (مفقودها) أو (منثورها) ؛ لأن السقط : الحقير الرديء من المتاع وغيره[2] والطرف والجانب وفيه معنى الوقوع من أعلى إلى أسفل والتناثر والضياع، وكل تلك المضامين احتوتها اللفظة دون غيرها للرمزية الخفية عن الجميع . وفيها رمزية تصويرية استعارية بتشبيه الحقير من اللقطة بالسقط من الأجنة ، رمزية للعناية باللقطة حتى وإن كانت حقيرة الشأن، وتعظيمًا لمضمون الأمانة رغبة في إيصالها لصاحبها حتى وإن قل ثمنها. وهنا تظهر رمزية احترام الإسلام للملكية الفردية ، بل ونستشعر من سيميائية السياق تجريم السرقة والسلب من باب أولى ؛إذا كانت اللقطة المالية يحرم على ملتقطها الانتفاع بها إلا بعد الاستيثاق من عدم ملكيتها مدة زمنية محددة ، فكيف يكون الحال مع من يتجرءون على سلب ملكية معلومة! .

[1]) فتح الباري :ج ٥/ صـ١٠٦.

[2]) المعجم الوسيط مادة (سقط).

الخاتمـة :

- انتهجت السيميائية منهج العلامة الرمزية ، وبلاغة الرسول عمومًا، وفي القصر بالنفي والاستثناء خاصة لم تكن بمنأى عن هذا النهج حين اتخذت من رمزية الكلمة والجملة والجمل ، دلالة معجمية وتركيبية وسياقية سبيلًا لإيصال مقاصد للمخاطب،دونها تتبدل المقاصد كما وضح عبر الدراسة.

- وتتجلى السيميائية التصويرية في أسلوب النفي والاستثناء لتنبيه ذهن المتلقي إلى ما بعد (إلا) تنبيهًا صوتيًا ومعنويًا يصم الآذان أولًا ثم العقول ثانيًا، بعد غفلة أو نسيان أو جهل حتى تتوطن في المتلقي مضامين الحصر والتخصيص رمزية للخطاب الحماسي العالي النبرة القوي التأثير في الوجدان .

- شاعت رمزية التجدد والتكرار في أسلوب القصر بالنفي والاستثناء باستعمال الفعل المضارع رمزية إلى تجدد العمل بالمأمور به ، و تجدد النهي عن المنهي عنه بتجدد الإنسان والزمان – رغم وفاة الرسول– حتى تقوم الساعة ،وفي ذلك رمزية أن الأمر والنهي في الحديث النبوي كلاهما من عند الله الآمر والناهي الحقيقي .

- وظفت السيميائية الرمزية الاجتماعية مدخلًا في خصوصيتها ،ووظفت البلاغة النبوية القصر بالنفي والاستثناء الرمزية الاجتماعية في الرمزية إلى أحوال اجتماعية محضة ، كالسلم والأمن الاجتماعي ، والفقر، والتكافل الاجتماعي ، وفقد الأبناء وأثره النفسي والديني والمجتمعي على المرأة ، وأحقية المرأة المسلمة في التعلم ..إلى غير ذلك مما هو وارد في الدراسة ،مما يؤكد على عناية الإسلام بالفرد المسلم في جميع أموره سواء كانت دينية أم اجتماعية حياتية .

- بنى الرسول القصر بالنفي في أكثر مواضعه على النفي ب(لا) لنفي الجنس مع الاسم ،ولنفي مطلق الزمن مع الفعل ، وفي استعمالها أكثر من غيرها من أدوات النفي رمزية للعموم والجنس.
- توجيه بنية البديع البلاغي من تأكيد المدح بما يشبه الذم و الجناس والطباق ومراعاة النظير والتورية توجيهًا رمزيًا باستغلال طاقاته الإيحائية في إيصال مضامين دلالية ، لم يكن سواها ليقوم بها.
- وقوع وقصد القصر الحقيقي التحقيقي في جل مواضع القصر بالنفي والاستثناء ، رمزية دلالية إلى حرص الرسول على تقديم الأمور بأسلوب لا مبالغة فيه ؛حتى يؤكد الصدق القولي والفعلي بمطابقة الأسلوب للواقع الفعلي للحدث وخاصة في الأمور العقدية والتشريعية.
- السيميائية التصويرية وظفت علم البيان من استعارة وتشبيه ومجاز مرسل وكناية في توكيد بنيتها السياقية والدلالية رمزية للتوضيح والتشخيص بمعهود حسي، ورمزية إلى استعمال المتكلم الحوار المناسب والمتنوع في تقريب المضامين المطلوبة.
- وظفت السيميائية أسلوب الخروج على خلاف مقتضى الظاهر في غير موضع رمزية إلى مخالفة الباطن للظاهر أو مخالفة الواجب بالمحظور.

-المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصاري ، ط أولى دار المغني للنشر الرياض ٢٠٠٨م.

- الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن : د/ محمود موسى حمدان ،مكتبة وهبة ،ط أولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

-إرشاد الساري لشرح البخاري شهاب الدين القسطلاني، دار الكتب العلمية بيروت ،١٩٩٦م.

- بغية الإيضاح ج٢/ ٢٧٥.: عبد المتعال الصعيدي ،مكتبة الآداب ط أولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م.

- بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان ، منشأة المعارف الأسكندرية.

-تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزبيدي ، تح/ إبراهيم الترزي ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت ،١٩٨٤م

- تفسير الشعراوي (الخواطر) : محمد متولي الشعراوي مطابع أخبار اليوم عام ١٩٩٧م.

- الجنى الداني في حروف المعاني : للحسن بن قاسم المرادي، تح/ فجر الدين قباوه ، محمد نديم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٩٩٢م،١٤١٢هـ.

- دلالات التراكيب : د/ محمد أبو موسى ،مكتبة وهبه، ط خامسة ،١٤٢٥هـ/ ٢٠١٤م.

-السيمياء والاستعارة مقاربة سيميائية في تحليل النصوص : د/ يوسف عبد الفتاح، مجلة سيميائيات الجزائر.

- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها : سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر، سورية ،ط ثالثة٢٠١٢م

-سيميائية الألوان في القرآن : كريم شلال الخفاجي ،دار المتقين ،ط أولى ٢٠١٢م بيروت..

-صحيح البخاري: دار ابن كثير ، بيروت ط ١، سنة ٢٠٠٢م ١٤٢٣هـ.

- صحيح مسلم بشرح النووي ، رقم الحديث ٨١٥،مؤسسة قرطبة ، ط ثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد : السيوطي، تح د/ سلمان القضاة، دار الجيل ،بيروت ١٩٩٤م.

- عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري: بد الدين العيني ، دار الكتب العلمية،٢٠٠٦م

- فتح الباري : أحمد بن حجر العسقلاني، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.

- الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري ، دار الآفاق الجديدة ، ط خامسة ،١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- القاموس المحيط: الفيروزآبادي ،دار الحديث،القاهرة ،٢٠٠٨م.

- الكتاب : سيبويه ، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ،ط ثالثة١٤٠٨هـ ١٩٨٨.

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري :: شمس الدين الكرماني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨١م.

- لسان العرب ابن منظور الأفريقي دار صادر بيروت ط أولى.

- مجلة العلوم العربية : العطوي عويض بن حمود ، بحث بعنوان : بلاغة كلمة التوحيد،٢٠١٢ م، العدد ٢٣.

- المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م/١٤١١هـ

– معاني النحو : فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر ج٤/ ١٩٣، ط١، ١٤٢٠/٢٠٠٠م.

–المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ،الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

–المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق : د/ طالب أحمد ، دار الغرب للنشر ٢٠٠٥م.

–معالم السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها : عبد القادر فهيم الشيباني ٢٠٠٥م .

– معاني الأبنية في العربية : د/ فاضل السامرائي ،دار عمار للنشر ، ط ثانية ١٤٢٨،٢٠٠٧م.

–نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : د/ حسين خمري، الدار العربية للعلوم ، ٢٠١٦م.